أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي

وسبل التغلب عليها

إعداد

دكتور / أسامة حمدي سعد السيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قوياً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) سبحانه هدانا وعلَّمنا، ومنَّ علينا، وأكرمنا بأن جعلنا من الداعين إلى سبيله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، ليكون أميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، ولتقوم به الحجة على هذه الأمة إلى يوم الدين .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه البررة الأتقياء ، أئمة الدين، وصفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين. ورضى الله عمن اتبع سنتهم، وسلك طريقتهم ، ودعا بدعوتهم ، ، واقتفىَ أثرهم، ونصرهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن الداعية إلى الله تعالى حامل رسالة ومبلغ أمانة، ولا يُتصور من حامل رسالة الدعوة إلى الله تقصير أو تفريط وفي عنقه مسئولية إزاء الإصلاح والتغيير ، وفي الخطاب الرباني القرآني للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ (٢) ، وهو نداء جليل فيه أمر بتحمل الأمر العظيم والقيام بحق الدعوة وتبليغ الناس دين الله وما يقتضيه ذلك من نذارة البشرية ، وتخليصها من

---

(١) سورة النحل، آية رقم : ١٨

(٢) سورة المدثر: الآيتان ١ – ٢

الشر في الدنيا، ومن النار في الآخرة.

ومن هنا كان لا بد من خطاب دعوي مؤثر ينفذ إلى قلوب المدعوين ، ويقرب لهم الخير ويدفع عنهم الضر ، ويأخذ بأيديهم إلى أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، مستوعباً هديَ القرآن والسنة في الحرص على المدعوين وحب الخير لهم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما أرسله ربه رحمة للعالمين ، يدعو الناس إلى الله تعالى على بصيرة ممتثلاً الأمر الإلهي ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (١)

فلم يكن خطابه – صلى الله عليه وسلم – قاصرا على إقامة الحجة أو إبراء الذمة وكفى ، وإنما كان خطابا دعويا فاعلاً ومؤثراً جمع أسباب القوة والتأثير في المدعوين والحرص عليهم ، والصبر في دعوتهم وتعليمهم ، وإصلاح عيوبهم ، والسعي في كل ما يعود عليهم بالخير.

وبهذا الخطاب الدعوي استطاع –صلى الله عليه وسلم – أن يأخذ بأيدي الناس إلى الله تعالى، وأن يجد منهم استجابة وقبولاً وأسماعاً مصغيةً ، وأفئدةً واعية .

هذا وإن الناظر إلى الواقع الدعوي المعاصر ليدرك مدى البون بين الخطاب الدعوي النبوي ، وبين الخطاب الدعوي المعاصر الذي يعاني من مشكلات جعلت

(١) سورة النحل آية رقم : ١٢٥

منه خطابا يحتاج إلى تقويم أحيانا ، وحالت بينه وبين أن يكون فاعلا ومؤثرا في المدعوين، ومن ثم لم يعد في قوة الخطاب الدعوي الأول .

وكان من أثر هذا الخطاب الدعوي أن انصرف المدعوون عن بعض الدعاة ، وفقدوا الثقة فيهم – إلا من رحم الله – كما قل دور البعض من الدعاة في الإصلاح والتغيير، فضلا عن أن ضعف الخطاب الدعوي قد أعطى الفرصة للبعض من غير المتخصصين أن يتصدى للدعوة فكان أثرهم على الدعوة بالغا.

ومن ثم جاء هذا البحث عن أسباب ضعف الخطاب الدعوي والعمل على معالجتها انطلاقا من قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١)، ولا شك أن البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى تقتضي معرفة مشكلات الدعوة وأسبابها، توصلا إلى وضع الحلول للمشكلات ومعالجة أسباب الضعف .

أسباب اختيار الموضوع :

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن من الأسباب الداعية إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

أولاً : أن الدعوة إلى الله تعالى هي أفضل الأعمال وأشرفها قدرا إذ بها صلاح أمر الناس في معاشهم ومعادهم ، لذا كان لا بد أن يكون الخطاب الذي يحمل تلك الدعوة متضمنا لأسباب الفاعلية والتأثير حتى تؤتي الدعوة ثمارها وتحقق أهدافها ، ومن هنا كان البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى ضعف هذا الخطاب أمرا ضروريا

(١) سورة يوسف آية رقم : ١٠٨

من أجل العمل على معالجتها.

ولا شك أن الخطاب الدعوي يستمد أهميته من مضمونه وأهدافه، فمضمونه هو الدعوة الإسلامية بشموليتها ، وقد جاءت لإصلاح الدين والدنيا ، ولتغيير واقع المدعو ولن يتم ذلك إلا من خلال طرح دعوي يمتلك من عوامل التأثير والفاعلية ما يحقق مقاصد تلك الدعوة وأهدافها.

ثانياً : أن الخطاب الدعوي القاصر عن أسباب الفاعلية والتأثير يجعل العمل الدعوي فاقدا لأسمى أهدافه وهو تحول المدعو من سيئ إلى حسن ومن حسن إلى أحسن ، ولهذا كان من الضروري أن يقف الداعية على أسباب ضعف خطابه وان يتعرف عليها حتى يستطيع مواجهتها وتذليلها في سبيل الوصول إلى غايته.

ثالثاً : أن الدعاة إلى الله تعالى – حاشا الأنبياء- بشر يعتريهم الخطأ والصواب ، وقد يصاحب خطابهم الدعوي أسباب تعوق بينهم وبين نجاح دعوتهم ، ولا شك أن الحكمة قاضية بأن النهوض بالعمل الدعوي لن يتحقق دون معرفة لأسباب الخلل ومواضع التقصير ، والعمل على إصلاح ذلك دفعا لمسيرة الدعوة وتحقيقا لأهدافها.

رابعاً : أن ترك تلك الأسباب المفضية إلى ضعف الخطاب الدعوي من شأنه أن يبدد جهود الدعاة ويضيع أوقاتهم ، ولهذا كان لا بد من العمل على معالجة تلك الأسباب حرصا على الاستفادة من الجهود الدعوية المبذولة.

خامساً : أن الخطاب الدعوي الذي ينطلق من فهم واع للكتاب والسنة هو

البيان الواضح الذي تقوم به الحجة، وينقطع به العذر وتتحقق من خلاله أهداف الدعوة ، قال جل شأنه :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) وقال ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٢) (٣)

وفي ضوء هذه النصوص القرآنية الكريمة ندرك أهمية الخطاب الدعوي ، وضرورة العناية به من أجل أن تصل هداية الله تعالى إلى المدعوين ، والذين يتطلعون بدورهم إلى خطاب دعوي محكم يستمد أصالته من الوحي الشريف ، ويعايش مشكلات الناس ، وما يطرأ في حياتهم من مستجدات ، فلا ينفصل عنهم ، ولا يتركهم في حيرة من أمرهم ؛ بل يقدم لهم من هداية الإسلام زاداً يستمدون منه ما ينتفعون به في أمور دينهم ودنياهم .

الهدف من البحث : **يهدف البحث إلى** : الوقوف على الأسباب التي من شأنها أن توهن الخطاب الدعوي ، وتؤثر على فاعليته وتعوق تقدمه وتحد من نفعه ، والعمل على تشخيصها وعلاجها في ضوء القرآن والسنة وسير الدعاة والمصلحين.

ولسنا نعني بذلك تفريغ الخطاب الدعوي من مضامينه وأصوله ومبادئه ، فذلك ما لا يمكن المساس به بحال من الأحوال ، ولكنَّا نعني بالحديث عن

---

(١) سورة النحل آية: ٤٤

(٢) سورة النساء آية ، ١٦٥

(٣) تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال ، د/ عطية عدلان ، مقال بمجلة البيان ، عدد ٣١٤

الخطاب الدعوي هنا حسن عرض هذا الخطاب ، والتجديد في أساليبه ووسائله دون الخروج على ثوابته ومرجعيته ، والبحث عن أسباب قوته وفاعليته وهذا ما يحاول البحث معالجته من خلال الوقوف على أبرز الأسباب التي أدت بالخطاب الدعوي المعاصر إلى تلك الحالة من الضعف ، والعمل على تشخصيها وتوضيح سبل المعالجة الموضوعية لها . فإن أصبت في هذا العمل فلله الفضل والمنة وله الحمد والشكر ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت ، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، وأسأله العفو عن الزلل.

منهج البحث : تطلب البحث استخدام المنهج الوصفي عرضاً وتنظيراً ثم المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة الإشكالات تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً(١) ، كما لا غنى لي عن الاستفادة ببقية المناهج التي تخدم البحث حال الحاجة إليها.

تقسيم الدراسة : جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة :

أما المقدمة فكانت عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والهدف من البحث ومنهج البحث وتقسيم الدراسة، أما التمهيد: فيتضمن تحرير معنى الخطاب الدعوي

وأما المبحث الأول : أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المتعلقة بالداعية وسبل التغلب عليها ، وقد اشتمل على المطالب التالية :

---

(١) انظر أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، د/ فريد الأنصاري ، ص٦٦ ، ٩٦ ، نشر منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م

المطلب الأول : عدم كفاية التدريب العملي للدعاة وسبل التغلب على ذلك.

المطلب الثاني : قصور الفقه الدعوى لبعض الدعاة وسبل التغلب على ذلك .

المطلب الثالث : ضعف روح التضامن والمشاركة بين الدعاة وسبل التغلب على ذلك .

المطلب الرابع : الخلل في الجوانب السلوكية لدى بعض للدعاة وسبل التغلب ذلك

وأما المبحث الثاني : أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المتعلقة بالواقع الدعوي وسبل التغلب عليها . وقد اشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : الوسائل المضادة للعمل الدعوي وأثرها على الخطاب الدعوي وسبل التغلب عليها.

المطلب الثاني : الغزو الثقافي وأثره على الخطاب الدعوي وسبل التغلب على ذلك.

المطلب الثالث : ضعف الكفاية المادية وسبل التغلب على ذلك.

وأما الخاتمة : فتتضمن النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد

أولاً : مفهوم الخطاب الدعوي :

أ- **مفهوم الخِطاب** : ورد الخطاب في معاجم اللغة بمعنى الكلام ، ومراجعته ، والمشاورة فيه ، كما ورد بمعنى الرسالة المكتوبة [١]

وأما في الاصطلاح فقد عُرِّف الخطاب بأنه " القول الذى يفهم به المخاطب شيئا " [٢]

ب- **الدَّعويّ** : نسبة إلى الدعوة ، والدعوة في إطلاقها قد يراد بها الإسلام أو الرسالة ، وقد يراد بها عملية تبليغ الإسلام ونشره ، لكن المقصود من هذه النسبة هنا المعنى الثاني وهو التبليغ [٣]

وعليه فالخطاب الدعوي هو البيان الذي من خلاله يتوجه الداعية إلى المدعو ليعرفه الإسلام ويدعوه إليه آخذا بيده إلى أسباب السعادة في الدنيا والآخرة . أو هو " ما يطرح على الآخرين بهدف تعريفهم الإسلام أو ترقيتهم في الإيمان أو تثبيتهم عليه أو إزالة الشبهات ونحوه " [٤]

---

(١) انظر لسان العرب ١/ ٣٦٠ ، المعجم الوسيط ص ٢٤٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤف المناوي ، ص ٣١٦ ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

(٣) الدعوة بمعنى التبليغ والنشر " هي إبلاغ الناس رسالة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين " ، انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ص: ٢١، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، مكتبة لينة .

(٤) خطبة الجمعة ، د/ بكر زكي عوض ، ص ١٧٥

وإذا كان أصل الخطاب يعني الكلام إلا أنه بإضافة الدعوة إليه صار الخطاب الدعوي الذي نعنيه ذو مدلول واسع وشامل ، فلا يقف عند حدود خطبة يلقيها خطيب ، أو درس يؤديه داعية ، وإنما كل طرح أو بيان من شأنه أن يعرف المدعوين جميعا بالإسلام أو يرقيهم في مراتب الإيمان – سواء كان هذا البيان قولا أو فعلا أو حالا – كل ذلك داخل في مدلول الخطاب الدعوي ويمكن على ضوء ما سبق تحرير مفهوم عنوان البحث: (أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي وسبل التغلب عليها) حيث يعني : كل أمر يؤدي إلى فقد العمل الدعوي لنشاطه وقوة تأثيره ، والطرق التي من خلالها يمكن معالجة تلك الأمور .

المبحـــث الأول

أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المتعلقة بالداعية وسبل التغلب عليها

مدخـل :

بالنظر إلى الأسباب العامة التي أدت إلى ضعف الخطاب الدعوي وقلة تأثيره ، نجد أن جانبا هاما منها يتصل بالداعية ويتعلق به ، ويترتب عليه خلل يطرأ على أدائه فيحول بينه وبين تبليغ رسالته على الوجه الأكمل ، ويقف سدا وحاجزا دون استجابة المدعوين وتأثرهم أو يبتعد بهم عن الحق بعد استجابتهم له ، ولهذا كان من الضروري أن نقف على تلك الأسباب وأن نتعرف عليها حتى نستطيع مواجهتها وتذليلها في سبيل الوصول إلى غايتنا من الخطاب الدعوي.

إن تلك الأسباب المرتبطة بالداعية إنما تمثل عقبات في سبيل تبليغ الدعوة ، لذا فإن الحكمة الدعوية تقتضي أن لا نقصر أو نهمل في البحث عن سبل التغلب على تلك الأسباب لأنها تعوق الداعية عن أداء مهمته وتضيع وقته وجهده ..إلى غير ذلك من آثار سلبية تترتب على ترك تلك المعوقات في طريق الخطاب الدعوي دونما علاج ، الأمر الذي يحتم على كل غيور على الدعوة أن يتحرك من أجل أن يعود للخطاب الدعوي دوره وتأثيره .

وإذا كان الكلام في هذا المبحث عن أسباب ضعف الخطاب الدعوي المتعلقة بالدعاة ، فلا يعني ذلك أننا نتكلم بصفة العموم ، وليس بالضرورة أن تكون تلك الأسباب متلبسة بكل الدعاة ، وإنما حسبنا أن نجدها في مجتمع الدعاة قويت أو ضعفت ، ومن ثم وجب التعامل معها بعناية حتى لا تأخذ صفة العموم إن تم

تركها وإهمال علاجها .

" وليس معنى كون تلك العقبات متصلة بالداعية أن تكون منتشرة في جميع الدعاة وإن غلب عليها طابع العموم ولكن يكفى أن توجد في صفوف الدعاة وإن قلوا ، أو يعانى منها المصلحون أياً كانوا ؛ فإن المرض الخطير إذا وجد في فرد أو أفراد دون انتباه إليه سرعان ما يعم وينتشر في الآخرين وهم في غفلة عنه نظراً للتداخل في العلاقات الإنسانية " (١)

وعلى الداعية في هذا المقام أن يدرك أن التعرف على تلك الأسباب وتشخيصها عامل رئيس في التغلب عليها من أجل القيام بمسئولية تبليغ الخطاب الدعوي على الوجه الأكمل.

كما أن على الداعية ألا ييأس من معالجة تلك الأسباب ، مقتدياً في ذلك بأئمة الهدى من الدعاة والمصلحين عبر العصور ، فكم من عقبات اعترضت طريق دعوتهم فما وهنوا لذلك وما أصابهم يأس أو قنوط ، وواصلوا دعوتهم وذللوا الصعاب أمامها حتى تم لهم ما أرادوا ،

وفيما يلي عرض لأبرز أسباب ضعف الخطاب الدعوي المتعلقة بالداعية وذلك من خلال المطالب التالية :

(١) بصائر دعوية ، د/ محمد أبو الفتح البيانونى ، ص ٩٢، دار السلام ، ط١/ ٢٠٠٢

المطلـــب الأول

عدم كفاية التدريب العملي للدعاة وسبل التغلب على ذلك

إن الواقع الدعوى المعاصر خير شاهد على أن عدم كفاية التدريب العملي للدعاة من أبرز أسباب ضعف الخطاب الدعوي ويمثل عقبة كؤوداً في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله عز وجل ، فكم تصدى لتلك الدعوة دعاة ليس لهم حظ من التأهيل والتدريب الجيد فكان ضررهم على الدعوة أبلغ ، لأنهم جانبوا الهدي القرآني الذي يرشدنا فيه الحق جل وعلا إلى الدعوة إلى دينه على بصيرة ، وإذا كانت البصيرة تقتضي العلم والمعرفة ، فلا شك أن التدريب العملي متمم للمعرفة ، ومكمل لها ، وجزء لا ينفصل عنها ، وصدق الله عز وجل إذ يقول : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

إن الداعية إلى الله عز وجل – وهو يمثل ركن الدعوة وعمودها وقطب رحاها – لا بد وأن يكون على قدر تلك المهمة التي أقيم فيها وذلك لا يتم إلا بإعداده إعدادا جيدا يراعى فيه التكوين العلمي والتدريب العملي حتى يتمكن من عرض الدعوة وتبليغها وتوجيه المدعوين والتأثير فيهم.

ولا شك أن من المشكلات التي يعاني منها الخطاب الدعوي المعاصر الانفصال بين التكوين العلمي النظري للداعية وبين التدريب والتأهيل العملي ، فهناك فجوة ملحوظة بين الأمرين واللذين ينبغي أن يسيرا على خط واحد ، لأن

(١) سورة الزمر ، آية ٩

الدراسة النظرية وحدها لا تكفي في صناعة داعية ناجح ومؤثر ، وإنما لا بد من التدريب حيث يسد تلك الفجوة ويحول تلك الدراسة النظرية إلى واقع عملي ملموس .

وقد أشار الدكتور محمد أبو زيد إلى تلك المشكلة بقوله " في الفترة الأخيرة لوحظ أن الشكوى قد كثرت من تدني مستوى كثير من الخطباء والوعاظ والمتحدثين من خريجي الأزهر الشريف ، وقد أدى هذا إلى اتهامهم بقلة العلم والخبرة التي تؤهلهم إلى الحديث المبين ، وهذا الاتهام ظالم في شقه الأول ، مصيب في شقه الثاني المتعلق بالخبرة ، فالعلم موجود بدرجات متفاوتة عند خريجي الأزهر الشريف ، إلا أن الخبرة في مجالي الأداء والتبليغ تنقصهم ، وقد نتج هذا الخلل بسبب التركيز الشديد على التلقين في العلوم النظرية وإهمال التدريب والتطبيق ومن هنا امتلأ عقل الطالب بالمعلومات النظرية ، وصعب عليه في كثير من الأحيان أن يعبر عما بداخله " (١)

وفي ضوء هذا الكلام نستطيع أن نقرر أن التدريب العملي شرط من الشروط الأساسية التي لا يجب إغفالها في سبيل إعداد الداعية قبل ان يتصدر للقيام بمهمات أدائه وظائف الدعوة إلى الله تعالى .

وتتضح أهمية التدريب في ميدان العمل الدعوي من خلال ما يلي :

---

(١) المضمون ، دراسة في علم الخطابة ، د/ محمد محمد أبو زيد ، ص : أ ، نشر مكتبة الأزهر الحديثة ، طنطا ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

أ – التدريب العملي هو سبيل الاستفادة من الدراسة النظرية :

إن الدراسة النظرية التي يحصل عليها الداعية في الكليات والمعاهد الشرعية والمراكز الدعوية المتخصصة هي الأصل في تكوين الداعية ، لكن تلك المعارف تبقى جامدة ، وقد يعتريها النسيان ما لم تترجم من خلال التدريب العملي إلى واقع وممارسة وتطبيق .

وشأن الداعية في ذلك كالمدرس والطبيب والعامل والموظف وغيرهم من أصحاب الأعمال الذين يحتاجون إلى تدريب كي تتحول المعارف النظرية التي تلقوها إلى مهارات تجعلهم يؤدون أعمالهم على وجه أكمل .

" وأما إذا كان التدريب قاصراً ، سواءً في ذلك الداعية أم غيره ممن يحتاج إلى تدريب فسوف تتآكل المعلومات التي كانت بحوزته بمرور الأيام فيضيق نطاق المعرفة لديه ويحتفظ بالحد الأدنى الذي يساعده على أداء مهمته على نحو قاصر ...أما التدريب فبإمكانه أن يشعر المتدرب باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارف ذبلت "(١)

وبهذا الكلام يتضح أن الشهادات الأكاديمية التي يحصل عليها الدعاة لا تفي وحدها بالمطلوب ما لم ترتبط بتدريب وممارسة وتطبيق عملي يتبعه تقويم وتوجيه وإرشاد .

---

(١) نحو التربية والتعليم ، د/ عبد الكريم بكار ، ص ٣٩٨ ، بتصرف ، نشر دار المسلم الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ

ب – التدريب العملي يساعد على اكتساب مهارات الدعوة إلى الله تعالى :

لا يخفى أثر التدريب في إكساب الداعية مهارات الدعوة المختلفة كالخطابة والدرس والمحاضرة والمناظرة والندوة وغيرها من مهمات الدعوة إلى الله تعالى .

" ولا شك أن الداعية المؤهل هو الذي تلقى تدريبًا يمكِّنه من مواجهة الناس في المسجد إمامًا معلمًا، وخطيبا مفوها ، وفي الدَّرس مربيًا مرشدًا ، وفي مراكز الدعوة والتأثير إداريًا ناجحًا، وقائدًا ميدانيًا موفَّقًا" (١)

ج- التدريب سبيل النهوض بالعمل الدعوي :

على قدر تدريب الداعية والاهتمام بتأهيله يكون النهوض بالعمل الدعوي والارتقاء به وتحصيل الثمرات المرجوة من خلاله .

وإذا كانت الدول حريصة على الارتقاء بالتدريب في كافة مجالات الحياة (٢) فلا شك أن دعاة الإصلاح هم أولى الناس بالتدريب ، انطلاقا من عظم المسئولية الملقاة على عاتقهم ، ولن يستطيع الدعاة الوفاء بتلك المسئولية دونما تدريب يؤهلهم لذلك ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولأن ضعف التأهيل لمن تصدر لمهمة الدعوة

---

(١) من فقه إدارة الدعوة ، التدريب العملي ، د/ محمد يسري ، بتصرف ، مقال على شبكة المعلومات الدولية على الرابط http://dar-alyousr.com/?p=٢٦٥

(٢) تأتي أمريكا على رأس قائمة الدول التي تهتم بالتدريب في المجالات الحياتية المختلفة حيث تنفق على التدريب بسخاء بالغ ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعبا تنفق على التدريب ١٢٠ مليار دولار سنويا " .. انظر : نحو التربية والتعليم ، ص ٩٩٣ ، ٤٠٠ بتصرف.

يجعله يفسد أكثر مما يصلح ، وهو بحق يعد من أشد العقبات التي تؤثر سلبا على فاعلية الخطاب الدعوي والارتقاء به .

د – التدريب يكسر الحاجز النفسي لدى بعض الدعاة :

من الأمور التي تؤكد على أهمية التدريب في ميدان العمل الدعوي ، ما يمكن أن يؤديه التدريب من كسر للحاجز النفسي لدى بعض الدعاة والذي يعوقهم عن القيام بما تقتضيه مهمتهم من البيان والبلاغ ، فيأتي دور التدريب ليكسب الداعية المتدرب قوة وشجاعة وثقة في النفس تجعله ينطلق في مهمته دونما وجل أو خوف .

" فالمرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويناط به ويحسب لذلك حسابات متعددة فإذا دُرِّبَ على ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من تخوف وتحسس وجهود وقصور ، ويقبل راضيا سعيداً على ما كلف به من أعمال مهما عظمت أهميتها وصعب القيام بها "(١)

كيفية مواجهة ضعف التدريب العملي للدعاة:

لا شك أن ضعف التدريب العملي من أبرز التحديات التي تواجه الدعوة إلى الله تعالى ، وتؤثر سلبا على الخطاب الدعوي بصفة عامة، وهذا بدوره يجعلنا أمام مسئولية عظيمة من أجل تغيير هذا الواقع للدعوة ، فلا مجال هنا للتراخي والتكاسل ، لأن القيام بحق الدعوة يقتضي تضافر الجهود من أجل إصلاح هذا

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي ، د/ محمد موسى الشريف ، ص ٣٣ ، نشر دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م

الخلل وإعادة تأهيل الدعاة وتدريبهم بما يتناسب مع المهمة العظيمة المنوطة بهم .

كما تبدو الحاجة ماسة للقيام بهذا الأمر لا سيما في ظل المستجدات والمعطيات التي يجب أن يتعامل معها الداعية في ظل الثورة المعرفية الهائلة في عالم التكنولوجيا والفضائيات المفتوحة .

وفى سبيل إعداد الدعاة وتأهيلهم وتدريبهم من أجل خطاب دعوي مؤثر وفعال لا بد مما يلي :

أولا : ضرورة الارتباط بين الجانب العلمي النظري والتدريب العملي في الدعوة إلى الله تعالى:

تقدم أن الانفصال بين جانبي التنظير والتدريب أحد أسباب ضعف الخطاب الدعوي المعاصر ، ومن ثم إذا أردنا خطابا دعويا فاعلا ومؤثرا فينبغي أن نضع في الاعتبار ضرورة الارتباط الوثيق بين الجانب النظري الأكاديمي وبين الجانب العملي التطبيقي بحيث يسيران في خط واحد يكمل كل منهما الآخر .

" فالتدريب أحد قسمي التأهيل ؛ إذ التأهيل قسمان : نظري وعملي ، وكلا القسمين مهم لا يستغنى عنه ، لكن البرامج التدريبية تفترض وجود مستوى محدد من الفهم والوعي ، ومن ثم السعي للبناء عليه " (١)

وليس هذا الارتباط بين التعليم والتدريب مطلبا عاديا إنما هو أمر ضروري في إعداد الداعية حتى يكون قادرا على الارتقاء بالمدعوين ، والنهوض بالأمة من كبوتها وواقعها السيء.

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي ، د/ محمد موسى الشريف ، ص ٢٧

وقد فقه علماؤنا هذا الأمر فاهتموا به أيما اهتمام " فكانوا يدِّربون ناشئتهم بين أيديهم في ساحة التلقي الأولى: المساجد، ففيها تُتلقى العلوم النظرية، وتُرى وتسمع وتمارس التطبيقات العملية، فكان علم الدعوة – تأصيلًا وتنظيرًا– يُتلقَّى مع عملها ممارسةً وتطبيقًا بمشافهة الشيوخ ومخالطة العلماء، وبالممارسة بحضرة الكبار وبالتقويم الحاضر والتوجيه الناجز. ومع تقدمٍ في الزمان وتبدلٍ في الأحوال انفصل التعليم عن التدريب، وافتقر التنفيذ إلى التأهيل، فغابت الثمرة المرجوة، وانتشرت الأمية العملية، وصار مألوفًا اليوم أن يرتقي الداعية منبرًا فلا يعجم حرفًا، ولا يقيم لفظًا! ولا يحسن وعظًا ! " (١)

وقد بنى علماؤنا رحمهم الله هذا الفهم الذي يقتضي ضرورة التدريب العملي في ميدان الدعوة مما استنبطوه من الكتاب والسنة فهما مترعان بالشواهد التي تؤكد على أهمية التدريب ، فمن ذلك على سبيل المثال:

أ – ما ورد في قصة موسى عليه السلام من تهيئته وتدريبه عمليا على مواجهة فرعون ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى

(١) من فقه إدارة الدعوة ، التدريب العملي ، د/ محمد يسري ، مقال على شبكة المعلومات الدولية على الرابط http://dar-alyousr.com/?p=٢٦٥

﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) .

ففي هذه الآيات دلالات باهرة على أهمية التدريب " فإلقاؤه – عليه السلام – العصا وتحولها إلى حية أمام ناظريه نوع من التدريب على مواجهة رهبة الموقف قبل حدوثه ، وكذلك الحال في ضمه – عليه السلام – يده إلى جناحه ... والله تعالى كان قادرا على أن يثبت موسى – عليه السلام – لأول وهلة ، لكن من الحكم في هذا الصنيع أن ندرك أن لله تعالى سننا في كونه يجب احترامها والتدرب على التعامل معها " (٢) .

ب – ما ورد من تهيئة أنبياء الله تعالى لمهام الدعوة برعي الغنم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم » (٣).

والسر في ذلك كما قال العلماء : " أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها

---

(١) سورة طه الآيات من ١٧ : ٢٤

(٢) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي ، د/ محمد موسى الشريف ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب : رعي الغنم على قراريط ، ٢/ ٧٨٩ ، برقم ٢١٤٣ .

وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم " (١)

جـ – ما ورد من تدريبه – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه على الدعوة والقضاء والإفتاء :

" ففي سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم تدريب لأصحابه على الدعوة والتعليم والقضاء بين يديه وبعيدًا – أيضًا – عن ناظريه، فعن على رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله إلى اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء، فقال: « إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ؛ فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء » قال: فما زلت قاضيًا أو ما شككت في قضاء بعد (٢) ، وربما قضى بعض أصحابه أمامه وبإذنه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلَت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ، بعث رسول الله وكان قريبًا منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله : «قوموا إلى سيدكم» فجاء،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ٤/ ٤٤١ ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ١/ ٨٣ ، برقم ٦٣٦ ، نشر مؤسسة قرطبة ، القاهرة . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه : صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين .

فجلس إلى رسول الله فقال له: "إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى الذرية، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم المِلك» (١) "(٢)

ومن خلال تلك الشواهد نقف على ضرورة الارتباط بين الدراسة النظرية والتدريب في تكوين الدعاة .

ثانياً: ضرورة عناية المؤسسات العلمية والدعوية بالتدريب :

ينبغي ان تتضافر جهود المؤسسات والهيئات الدعوية والكليات التي تخرج الدعاة إلى الله تعالى من أجل إعداد داعية كفء يمتلك زاداً علمياً يتناسب مع شرف مهمته، وفي نفس الوقت قد تم تدريبه وصقل مهاراته الدعوية .

ولا نستطيع أن ننكر جهودا مخلصة في هذا الباب تقوم بها بعض مؤسسات الدعوة كوزارة الأوقاف من خلال مراكزها التدريبية ، ومعاهدها لإعداد الدعاة ، لكن تلك الجهود لا تفي بالمطلوب فضلا عن أن تلك الدورات التدريبية يغلب عليها الجانب النظري أكثر من التدريب .

ومن هنا حتى نستطيع تكوين داعية مؤهل ينبغي الاهتمام بإنشاء المراكز التدريبية المتخصصة ، وذلك من خلال الأقسام العلمية والكليات والمؤسسات الدعوية ووزارات الأوقاف والتي ينبغي أن تجعل تدريب الدعاة على رأس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ٣ / ١٣٨٤ ، برقم ٣٥٩٣ .

(٢) من فقه إدارة الدعوة ، التدريب العملي ، د/ محمد يسري ، مقال على شبكة المعلومات الدولية على الرابط/ http://dar-alyousr.com/?p=٢٦٥ .

أولوياتها واهتماماتها ،

كما ينبغي على تلك المؤسسات التنسيق فيما بينها ، وتحديد احتياجات المتدربين من الدعاة ، ووضع البرامج التدريبية المناسبة وربطها بالمناهج وجعلها جزءا رئيسا منها، مع توفير الاحتياجات والمتطلبات اللازمة لها حتى تضمن الاستمرارية .

" وينبغي إلزام من يريد التصدي للدعوة – كل في مجاله – بحضور دورات في تلك المؤسسات حتى تصقل مواهبه وينضبط عنده التلقي المقرون بالتدريب والتجربة ، فيخرج إلى المجتمع وقد نضج وارتقى العلم النظري الذي حازه إلى سدة العمل التطبيقي الذي هو – في الحقيقة – ثمرة العلم "(١)

ومن خلال تفعيل تلك المراكز التدريبية واستدعاء أصحاب الخبرة من العلماء والدعاة لها نستطيع أن نرتقى بالخطاب الدعوي من خلال إعداد داعية ذي بصيرة دعوية ، وتلك البصيرة تعني المعرفة والتحقق(٢) ومن ثم يدخل فيها معرفة الداعية كيف يدعو إلى الله تعالى من خلال ما حازه من علم نظري وتدريب عملي .

وفي ضوء ما سبق نخلص إلى أنه : على قدر إعداد الداعية نظريا وعمليا تكون النتائج الطيبة والآثار المرغوبة ، ويستطيع أن يدلى بدلوه ويبلغ رسالته ، من خلال

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي ، د/ محمد موسى الشريف ، ص ٤٢.

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ١/ ١٢٧ ، نشر دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

خطاب دعوي مؤثر ينفذ إلى القلوب والعقول ، ويسهم في تغيير واقع المدعو إلى أحسن حال ، فضلا عن أننا بهذا الإعداد والتأهيل نأمن على العمل الدعوي من غير المتخصصين الذين يفسدون أكثر مما يصلحون .

المطلب الثاني

قصور الفقه الدعوى لدى بعض الدعاة وسبل التغلب على ذلك

لا شك أن من أبرز الأسباب التي أفضت بالخطاب الدعوي إلى ما ذكرت ؛ القصور في الفقه الدعوي لدى طائفة من الدعاة الذين تحملوا مسئولية الدعوة دونما فقه وفهم ؛ فكان ضررهم على الدعوة بالغاً.

وإذا كان الإعداد بشقيه النظري والعملي للداعية مطلوباً وضروريا كما أسلفنا ؛ فإنه لا بد إلى جانب ذلك من فقه وفهم ، وذلك ما يقتضيه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١) .

ولن تكون الدعوة إلى الله على بصيرة دون علم وفهم ووعى وإدراك ومعرفة يتمكن الداعية من خلالها من تبليغ الدعوة بعيداً عن التخبط والفوضوية والارتجال والعشوائية التي تضر بالخطاب الدعوى وتحول دون فاعليته وتأثيره .

إن فقه الدعوة الذي نريده يعنى " فهم واستنباط تاريخ الدعوة وأسبابها وأركانها واساليبها ووسائلها وأهدافها ونتائجها فهماً واستنباطا على ضوء الكتاب

(١) سورة يوسف ، آية رقم ١٠٨

والسنة وفهم السلف الصالح يمكن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة وأكثر ملائمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم ، وتباين ألسنتهم ولغاتهم وتعدد أجناسهم " (١)

ومن خلال هذا الفقه ينطلق الداعية في مهمته على نور وهدىً عالما بما يدعو إليه عارفا بأحوال مدعويه وكيفية دعوتهم من خلال تحققه بفهم ثاقب يستطيع من خلاله ان يحقق ما يصبو إليه من تبليغ دعوته إلى المدعوين والتأثير فيهم ، إضافة إلى معرفته بكيفية التعامل في المواقف المختلفة، والتغلب على المشكلات التي تواجهه؛ كل ذلك من خلال علم رصين راسخ وفهم دقيق وإدراك .

وفيما يلى اعرض لأبرز مظاهر القصور في الفقه الدعوي التي أنتجت خطابا دعويا يحتاج إلى تقويم ، وكيف يمكن التغلب عليها :

أولا : غياب الوعي بالواقع الدعوي ، وسبل التغلب عليه :

حتى يكون الخطاب الدعوي خطابا نافعا لا بد أن يعي الواقع وأن يدركه جيداً بجميع أبعاده من أجل أن يتعاطى ويتفاعل معه ، وإن الملاحظ في خطاب الدعوة المعاصر ضعف إدراك الواقع أو غيابه مما نتج عنه الابتعاد عن المشكلات الحقيقية التي ينبغي أن يتناولها الخطاب الدعوي لدى بعض الدعاة ، كما نشأ عن ذلك أن تحول الخطاب الدعوي لدى بعض الدعاة إلى خطاب وعظي لا علاقة له بمصالح المدعوين وما تشتد حاجتهم إليه ، ولست بذلك أقلل من شأن خطاب

(١) انظر : فقه الدعوة إلى الله ، د / على عبد الحليم محمود ١/ ١٨ ، وفقه الدعوة إلى الله تعالى ، د / ابراهيم نورين ، ص٢٠ ، ط الرشد / ١٤٢٨

الوعظ وما يشتمل عليه من نصح وتذكير ؛ لكن أن يستغرق ذلك الخطاب وقت الداعية وجهده فهذا دليل على عدم إدراكه للواقع ومتغيراته .

كما أدى عدم مراعاة الواقع الدعوي إلى جمود البعض وتحجره وانغلاقه بسبب إغفاله لمقاصد الإسلام وترك تنزيل الشرع على الواقع .

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة كثير من الدلائل والشواهد على ضرورة مراعاة الواقع وفقهه والبصيرة به .فمن ذلك " نهى المسلمين عن سب آلهة المشركين ، ونهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قتال المنافقين ، وانتهاؤه عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد ابراهيم لما يترتب على ذلك من المفسدة العظمى في الدين ، كما أن إمضاءه – صلى الله عليه وسلم – لصلح الحديبية بشروطه ، وإعطاءه بعض المؤلفة قلوبهم العطايا العظيمة من الغنائم ، ومداراته لبعض القوم لما يترتب على ذلك كله من المصلحة العظمى في الدين ....في ذلك كله أكبر دليل على أهمية معرفة الواقع في الخلق والواجب في الشرع سواء بسواء" (١)

وفى ضوء تلك الدلائل والشواهد تتضح ضرورة مراعاة الواقع وفقهه ، وإلا فإن غياب هذا الإدراك يشكل عقبة امام الداعية لأنه حينئذ لن يتمكن من الرؤية الواضحة للأمور وكيفية التعامل معها ، واتخاذ القرارات المناسبة لما يعترض طريقه من مشكلات .

(١) معالم في أصول الدعوة ،د/ محمد يسرى ، ص ٦٣، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م

وانطلاقا من هذا الكلام وفي سبيل الارتقاء بالخطاب الدعوي والحرص على فاعليته وتأثيره لا بد من توجيه الدعاة إلى أن من فقه الدعوة ضرورة مراعاة الواقع الذى يعيشون فيه ودراسته دراسة فاحصة تمكنهم من التعاطي معه ، وعلى أساس تلك الدراسة يستطيع الدعاة وضع الخطط والمناهج واختيار الوسائل والأساليب المناسبة وتحقيق الاهداف والتغلب كثير من العوائق والعقبات التي تنشأ عن غياب إدراك الواقع .

ثانيا : الخلل في ترتيب الأولويات وسبل التغلب على ذلك :

إن كثيراً من المشكلات التي يعاني منها الخطاب الدعوي التي تؤكد على غياب فقه الدعوة ، منشؤها عدم مراعاة الداعية للأولويات ، وماذا يقدم من الأمور ، وماذا يؤخر، ومع غياب هذا الفقه وتطبيقاته في الأمة بصفة عامة ، وفى مجال الدعوة على وجه الخصوص حدث كثير من الاضطراب والخلل في جوانب حياة الأمة التي اختلت فيها المفاهيم واختلطت فيها الأمور فأصبح الصغير عند البعض كبيرا وأضحى الأمر العظيم هينا ... إلى غير ذلك مما نشأ عن غياب ترتيب الأولويات .

ومن هنا فإن الخطاب الدعوي بحاجة إلى دعاة عندهم من الوعى والفقه والحكمة في الدعوة ما يراعون به سلم الاولويات الدعوية وترتيبها ، والذي يعنى وضع كل شيء في موضع الصحيح والبدء بالأهم ثم بالمهم ، وتقديم الأولى والأجدر والأخطر وما من شأنه أن يقدم على غيره .

ومن خلال هذا الفقه يحدد الداعية خطته ويراعى متطلبات خطابه الدعوي وفاعليته ، فإذا انشغل الداعية ببعض القضايا التي ليست من الأهمية بمكان وترك

ما هو أهم وأخطر ، جانب الصواب ولم يكن فقيها في دعوته ، ولم يكن لخطابه أثر، وهذا ما يؤكد عليه فضيلة الدكتور حسين خطاب بقوله :" فالداعية والطبيب في علاجهما يبدآن بالأهم ، وكم من مريض ذهب إلى الطبيب يشكو ألماً في مكان ما ، وإذا اكتشف الطبيب شيئاً أخطر لا يتوانى ، يبدأ به ولو انتهى الأمر إلى جراحة عاجلة ، إنها الأولويات ، ولذا من البلاهة التي نراها عند بعض المنتسبين إلى العمل الدعوي أن نراهم يزنوا جميع قضايا المدعو بميزان واحد ويستفرغون الوسع في قضايا لو بقيت على ما هي عليه لن يقع ضرر على المدعو ولا الدعوة ، بل ولا شيء على الكون بأسره ، ويترك أموراً جوهرية لو لم ينبه الداعية إليها لكان الخطر له ولدينه "(١).

هذا وإن الواقع العملي للخطاب الدعوي للنبي ﷺ يؤكد على ضرورة البدء بالأهم قبل المهم وبالأصول قبل الفروع " فقد مكث رسول الله ﷺ في قومه ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الإيمان، ويُربِّي أتباعه على زيادته، دون أن يتعرض لمعظم الأحكام، أو ينهى عن معظم المحرمات، وكان بعض أصحابه يمارسون ماعُدّ بعد ذلك من الكبائر، كالخمر، والميسر وما شابه ذلك، ولم ينههم عنها، قبل أن يتوطن الإيمان في قلوبهم ؛ فلما وقر الإيمان في القلوب، وذلت لبارئها النفوس، أمرهم بالعبادات.. ثم بين لهم أحكام المعاملات.. ونهاهم عن المحرمات" (٢)

(١) ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة – المجادلة – الحكم على الآخرين ، ص ٥٢.

(٢) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان العرعور ، ص ١٠٩.

والنبي صلى الله عليه وسلم بذلك يقتفي أثر القرآن الذي نزل أولا يدعو إلى الإيمان ، حتى إذا استقر الإيمان في القلوب كانت الدعوة إلى الأحكام والمعاملات ، وإلى ذلك الإشارة بقول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- " { إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَىْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ . لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا . وَلَوْ نَزَلَ . لاَ تَزْنُوا . لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا . لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - وَإِنِّى لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ } "(١)

وفي ضوء ما ذكر نخلص إلى أن : ثالثا : ضعف العناية بالأساليب والوسائل الدعوية وسبل التغلب على ذلك :ـ من فقه الدعوة أن يراعي الخطاب الدعوي الأولويات فيبدأ بأهم القضايا ويقدمها على ما سواها.

من مظاهر غياب الفقه الدعوي ضعف العناية بالوسائل والأساليب الدعوية، وإذا ما نظرنا إلى الخطاب الدعوى المعاصر سوف نجد قصوراً واضحاً عند بعض الدعاة في فقه الوسائل والأساليب الدعوية ، مما يشكل عقبة تحول دون تأثير الخطاب الدعوى وفاعليته.

فالوسائل الدعوية ما زال يشوبها عند البعض جمود وتحجر دونما سعى إلى

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، ٤/ ١٩١٠ ، برقم ٤٧٠٧ ، نشر دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

تطويرها والنهوض بها والعمل على تنوعها (١)، وعلى العكس من

ذلك نجد من يتوسع في باب الوسائل دون معرفة بالضوابط الشرعية للوسائل الدعوية (٢) . وكذلك الحال فيما يتعلق بالأساليب الدعوية ، فالبعض خطابه لا يتوجه إلا للمشاعر والوجدان (٣) ، والبعض لا يهتم في خطابه إلا بالعقل والإقناع ... إلى غير ذلك من صور الخلل في باب الوسائل والأساليب.

---

(١) من نماذج ذلك ما ذكره الدكتور البيانوني عن حال كثير من دعاة اليوم الذين يكتفون بحلق الوعظ، والتعليم المتوارثة، ويزهدون بما تقدمه إليهم التقنية الحديثة من وسائل تعين على نشر علمهم، وتعميم وعظهم، في الوقت الذي يتنافس فيه أهل الباطل في استخدام تلك الوسائل، ويتفننون في تسخيرها لدعوتهم...انظر: مقال: عن الأخطاء المنتشرة حول مفهوم الأصالة والمعاصرة ، منشور على صفحة الدكتور البيانوني على موقع التواصل الإجتماعي فيس بوك بتاريخ ١/ ٤/ ٢٠١٦ ، على الرابط :
https://www.facebook.com/drmaab/posts/٩٩٦٧٨٠٧٧٠٣٥٩٢٦٧?comment_id=٩٩٧٦٣١٠٢٣٦٠٧٥٧٥&comment_tracking=٪٧B٪٢٢tn٪٢٢٪٣A٪٢٢R٪٢٢٪٧D.

(٢) هناك ضوابط للوسائل الدعوية منها :النص على مشروعيتها في الكتاب والسنة أو النص على عدم مشروعيتها ومنها : دخولها في دائرة المباح ، ومنها: خروجها عن كونها شعارا لغير المسلمين ، ومنها: الترخص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال ، يراجع : دراسات في وسائل الدعوة ، للدكتور / سعيد الصاوي ، ص ١١٢ – ١٤٢ ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٨م.

(٣) وذلك كحال بعض الدعاة الذين لا يوازنون بين الترغيب والترهيب في دعوتهم فيأتي كلامهم = = في سياق واحد إما ترغيبا في الجنة ونعيمها ورحمة الله وعفوه ومغفرته ، وإما ترهيبا فلا يتحدثون إلا عن عذاب القبر والنار وأهوالها ، مع أن منهج القرآن والسنة هو الموازنة بين الترغيب والترهيب .

ولا شك أن من آكد أسباب الفقه في الدعوة أن يحسن الداعية اختيار وسيلته التي يريد استخدامها والأسلوب الذى يستخدمه بحيث يناسب كل من الوسيلة والاسلوب حال المدعو ، وبما أن المدعوين أصناف متعددة فإن ذلك يستوجب مراعاة الخطاب الدعوي لكل صنف في اختيار الوسائل والاساليب ، لأن كثيراً من الجهود الدعوية تضيع فائدتها وتذهب أدراج

الرياح بسبب أن الداعية لا يفقه اختيار وسيلته وأسلوبه المناسبين ، وهذا خلل يسبب ضعفا في الخطاب الدعوي ، ولا يمكن التغلب على هذا الخلل إلا بفقه الوسائل والأساليب الدعوية .

والقرآن الكريم يعلمنا أن الناس أصناف وأحوال وطباع ومشارب ، وهذا بدوره يستلزم تنوعاً في طريقة الدعوة وعرضها ، ومن ثم خاطب الله عز ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١)

" فالأسلوب في دعوة المسلم يختلف عنه في دعوة الكافر، وفى دعوة المؤمن القوى السابق بالخيرات عنه في دعوة المؤمن المقتصد والظالم لنفسه ..وهكذا ، وهناك من الاساليب ما ينفذ إلى القلب كالترغيب والترهيب ، ومنها ما ينفذ إلى العقل كالجدل والحوار ونحوها، والحكمة الدعوية تقتضى اختيار الشكل المناسب لكل موقف فإن ما يقال في الافراح يختلف عما يقال في الاتراح ، وما يقال في أيام

(١) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .

الشدة غير ما يقال في أيام الرخاء "(١)

وفى ضوء هذا الكلام يتضح أن اختلاف احوال المدعوين يتبعه اختلاف في الوسائل والاساليب الدعوية، وأن الفقه الدعوى يقتضى مراعاة ذلك حتى لا يمثل عقبة تبتعد بالخطاب الدعوي عن المنهج الذى رسمه الله عز وجل لدعاة الإسلام ، والذى سار عليه إمام الدعاة – صلى الله عليه وسلم– فدعا الناس مستخدما أفضل الوسائل الشرعية الممكنة ، وسالكا أفضل الأساليب ، ومراعيا أحوال المدعوين في كل ذلك ، مما كان له اكبر الأثر في قبول دعوته ونجاحها .

وإذا كان لكل عصر وسائله وأدواته فإنه ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل أن يتفاعلوا مع تلك الوسائل وأن يبذلوا جهدهم في البحث عن أفضل

وجل نبيه ﷺ والدعاة من بعده بقوله : الوسائل وأجداها نفعاً وأسرعها وصولاً وتحقيقاً للأهداف والغايات ، شريطة أن تكون تلك الوسائل منضبطة بأحكام الشريعة .

وبحسب قوة الوسيلة ومناسبتها لحال الداعي ودعوته يكون تأثيرها وإمكانية التوصل من خلالها إلى تحقيق أهداف الخطاب الدعوي ، " أما الوسيلة القاصرة والضعيفة فلا يمكن أن توصل إلى غاية في الوقت المناسب ، ولا بالكيفية المطلوبة ، وإن تكافؤ كل وسيلة إنما يكون بحسبها ، وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها ، " (٢) .

---

(١) بصائر دعوية ، د/ محمد البيانوني ، ص ٦٣

(٢) السابق ص : ٨٣ .

ونخلص من هذا الكلام إلى : ضرورة العناية بالوسائل والأساليب الدعوية ، وأنه على قدر الاهتمام بها يكون الخطاب الدعوي فاعلا ومؤثرا .

رابعا : افتقاد الرؤية المنهجية وعدم تحديد الأهداف لدى بعض الدعاة وسبل التغلب على ذلك :

إن الفقه في الدعوة يقتضي ضرورة وجود رؤية منهجية سديدة ، وتخطيط واضح ، وتحديد لأهداف العمل الدعوي ، إلا أن الواقع الدعوي يؤكد على أن فقد المنهجية وغياب التخطيط في العمل الدعوى – عند بعض الدعاة – من أبرز المشكلات التي يعانى منها الخطاب الدعوي المعاصر ، والذي غلب عليه طابع الفوضى والارتجال .

ولا شك أن وجود منهج واضح ينظم العمل الدعوى ويوضح أهدافه من أهم أسباب نجاح هذا العمل" الذى يعنى بتبليغ الدين الإسلامي، والذي يخضع لمنهج محدد المعالم ليحقق في النهاية هدفاً من أجله جاءت الرسالات والرسل "(١)

فلا بد إذاً من منهج واضح، ولا بد من دراسة وتخطيط وتحديد للأهداف حتى تؤتى الدعوة ثمارها بإذن الله ، والداعية الفقيه هو الذى يعي ذلك ، ويدرك أهميته.

" والمتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد التخطيط سمة بارزة في دعوته ؛ حيث لم تمض الدعوة ارتجالاً ، بل تمت بتخطيط محكم وبعد تفكير عميق ، وأخذ كامل بالأسباب والتوكل على الله بعد ذلك ، فإذا نظرنا إلى هجرة أصحابه إلى

(١) منهج الدعوة إلى الله تعالى، د/ حسين خطاب، ص ٢٣

الحبشة أو هجرته إلى المدينة وجدنا خطة واضحة وراء ذلك ،لا يصعب على الدارس استنباطها، وإلا فلماذا أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة خاصة؟ لماذا لم يختر لهم بلدًا قريبًا أو أرضًا عربية؟ ولماذا أذن للبعض بالهجرة دون البعض؟ ولماذا لم يلحق بهم مهاجرًا إلى الحبشة؟ إن الجواب عن هذا كله يدل على أن الأمر لم يكن مرتجلا ، بل وراءه هدف وخطة " (١)

وفي ضوء هذا الكلام ندرك أن فاعلية الخطاب الدعوى تتطلب منهجا واضحا وتخطيطا وتحديدا للأهداف ، وذلك انطلاقا من " أهمية موقع الداعية وكونه يوقع عن الله عز وجل ، ولأن المنهج شرط لصحة العمل الدعوى ، وأيضاً حتى نقطع السبيل على ادعياء العمل الدعوى ، وتأصيل احترام التخصص " (٢)

كما أنه وفق هذا المنهج الواضح توضع خطط العمل اللازمة والمناسبة لحال الداعية وحال المدعوين ، وعلى العكس من ذلك فإنه في ظل غياب المنهج يغلب على العمل طابع الارتجال والعشوائية ، وتبقى كثير من البرامج والأعمال الدعوية دونما تحقيق لأهدافها ؛ لأنها لم تترجم إلى خطط صالحة للتطبيق تجد من يفعلها ويتابعها ويشرف على تحقيق الهدف منها .

ويمكن إجمال إيجابيات التخطيط في العمل الدعوى بصفة عامة في أن " التخطيط يحدد أهداف الدعاة وغايات برامجهم ومشروعاتهم الدعوية ويفيد في

(١) تأملات في فقه الدعوة، د / طلعت عفيفي ، ص ١٦٤ ، نشر الجمعية الشرعية .

(٢) منهج الدعوة إلى الله تعالى ، ص ٣٥

حسن تنفيذها وتقويمها... كما يساعد في اختيار طرق الدعوة المناسبة لكل داعية بحسب قدراته وإمكاناته ، ويجعل من السهل التوقع لمعوقات البرنامج الدعوى التي تفاجئ الداعية ، كما يسهم التخطيط في ترتيب الأولويات لدى القائمين على البرنامج الدعوى ، ويحدث كثيراً من الانسجام بين أعمال الداعية ما يمنع الازدواجية والتضارب في الأعمال ، فلا تضيع الجهود والأوقات . .إضافة إلى أن التخطيط يوفر كثيراً من النفقات التي توضع في غير موضعها نتيجة لضعف التخطيط أو انعدامه ... ويعمل التخطيط كذلك على تقويم الواقع الدعوى ، وتحديد موطن الضعف حتى يمكن تلافيها ، كما يساعد في وضع معايير وأسس متابعة الأعمال الدعوية ، ويجعلها أكثر شمولاً وتكاملاً ، وهو ما ينعكس بدوره على استمرار الجهود الدعوية ونجاحها "[1] .

وفي ضوء هذا الكلام يمكن أن نقرر أن نجاح خطاب الدعوة يعتمد في نجاحه وفاعليته على التخطيط السديد ، والرؤية المنهجية المبنية على أسس علمية واضحة تؤدي في النهاية إلى ما نصبوا إليه من خطاب دعوي فاعل ومؤثر.

(١) التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله تعالى ، خالد الصقير ، بحث منشور على شبكة المعلومات على موقع صيد الفوائد ، على الرابط :http/www.saaid.net/aldwah/٣٢ .

المطلب الثالث

ضعف روح التضامن والمشاركة بين الدعاة وسبل التغلب على ذلك

لا شك ان غياب الروابط الأخوية وضعف الصلات الوثيقة بين الدعاة قد أضر بالخطاب الدعوي المعاصر وأضعف من تأثيره ، ومن البدهيات أن نجاح العمل الدعوى مرتبط بالتضامن والمشاركة و التعاون ، وتضافر الجهود ، ووجود روح الجماعة بين الدعاة ، وذلك حتى يثمر هذا العمل ويعطى نتائجه المنشودة.

إن الواقع الدعوى المعاصر يحفل بكثير من الشواهد الدالة على ضعف روح التضامن بين بعض الدعاة " مما أساء نظرة بعضهم البعض وظن بعضهم البعض ، وجرأ كثير منهم على إصدار الأحكام على غيرهم بالتكفير تارة والتضليل والتبديع أخرى، ففرق بين صفوفهم وباعد بين قلوبهم ، ..حتى أصبح بعض الدعاة ينظر إلى الداعية من غير جماعته أو على غير منهجه إلى عدو لدود ...واختلت مقاييس بعض الدعاة في الحب والبغض داخل العمل الدعوى ناسين أو متناسين أن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله "(١)

ومن الطبيعي في ظل هذا الجو المشحون بين الدعاة أن تخسر الدعوة جهودهم التي ضاعت في الرد والأخذ والجدال والتعصب والانتصار لأنفسهم ، فضلا عن أن هذا السلوك من بعض الدعاة يعطي فرصة للباطل أن ينتشر ويتمدد طالما أن أصحاب الحق قد انشغلوا بأنفسهم ، كما أنه والحال كذلك فإن المدعوين عندما

(١) مدرسة الدعاة ٢/ ٥٢٠ ، بتصرف

ينظرون إلى تلك النماذج من بعض الدعاة ويرون بينهم هذا التنافر والتناحر فسوف ينفرون منهم ومن خطابهم الذي خرج عن المنهج الذى جاء به نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم –

كيفية التغلب على هذا الخلل في صفوف بعض الدعاة :

١- وجوب امتثال الأمر الإلهي بالتعاون :- ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل أن يعلموا أن التضامن والتعاون فيما بينهم ضرورة إيمانية وواجب شرعي دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (١)

ولا شك أن الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه من أعظم أعمال البر والتقوى التي تقتضي تعاون الدعاة إلى الله ، ومن هنا كان الأمر الإلهي بالتعاون على البر والتقوى " لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم ، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم ، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية ، ولكنه قدم التحلية بالبر وأكد هذا الأمر بالنهى عن ضده وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير ، وعلى العدوان الذى يغرى الناس بعضهم على بعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض " (٢) .

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية رقم ٢ .

(٢) تفسير المنار ٦ / ١٠٨ ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

٢- العمل الدعوي يحتاج إلى تضافر الجهود :

إن العمل الدعوي لا ينحصر في شكل واحد وإنما له صور متعددة تتطلب التضامن بين الدعاة بحيث يؤدي كل منهم في المجال الذي يحسنه " فالداعية مهما تعددت مواهبه فإنها تقتصر عن الإبداع والإتقان في كل مجال ، فهناك من يستطيع الخطابة ويجيدها ، وهناك من يحسن التأليف ويتقنه ، وهناك من ينشر العلم ويدرسه ، وثمة من يعرف العمل السياسي ، وآخر يبدع في العمل الخيرى ، وهكذا لا يتصور أن تغطى هذه المجالات إلا باستفراغ كل داعية جهده في مجال إتقانه ليحصل التكامل "[١]

وانطلاقا من هذا الكلام ينبغي على الدعاة معرفة أن الخطاب الدعوي لا ينحصر في شكل واحد ، وهو الأمر الذي يقتضي ضرورة التعاون والتضامن بين الدعاة من أجل فاعلية هذا الخطاب ونجاحه .

٣ - العمل على تعميق معاني الأخوة ومقتضياتها :

إن الغيرة على الخطاب الدعوي ، والحرص على تأثيره يتطلب من الداعية أن يوقن أنه " ليس أضر على الدعوة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة ، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية ولا يضعف الرابطة الإسلامية أشد من التحزب المقيت ، كيف يرجى التعاون ؟ بل كيف تبني الروابط ، والوجه الطليق والابتسامة الرفيعة حكر على الحزب ثم الجماعة ، أما غيرهم فنصيبه العبوس والوجه الكاشح ؟ كيف

(١) مقومات الداعية الناجح ، د/ عمر با دحدح ، ص : ١٠٢ .

تمد جسور التعاون وأصحاب الأخطاء يهونون من شأنها ، أما غيرهم فيبسط اللسان في التشهير به ... بل كيف يرجى التقارب ، فضلاً عن التعاون إذا كان المنتمي عندهم محصوراً أو محاصراً ، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة ولا يتتلمذ أو يتلقى إلا عن شيوخ الحزب والمذهب "[1] .

وهكذا لابد من تعميق معاني الأخوة الإيمانية وما يترتب عليها من الحب في الله والبغض في الله .

٤ - التأكيد على العلاقة بين التضامن والتعاون وبين التجرد في الإخلاص :-

إن الداعية الحريص على نجاح خطابه وتأثيره في المدعوين ينبغي أن يدرك أن تحقيقه لغايته لن يتأتى دون تجرد وإخلاص لله تعالى بحيث ينقي قلبه من الأهواء والنزعات التي تحول بينه وبين تعاونه مع إخوانه من الدعاة إلى الله تعالى " فهناك علاقة بينة بل تنازع جلي بين بذل التعاون والرغبات الشخصية. فالصدق في التعاون وبذله يستلزم تنازلاً عن الرغبات الشخصية والأهواء الذاتية ، ومن قام بالتعاون على وجهه، ووفى أعباءه ومتطلباته، إنما يغلب هواه، ويتجرد في إخلاصه؛ بل يقدم المصالح العليا، والحاجات الكبرى، على المصالح الخاصة ، ومنه يدرك الناظر أثر التعاون الحقيقي في بناء الوحدة وكبح شر التشرذم، ومن هنا تتجلى التراجحات بين التعاون والمنافع الذاتية. إنها قضية أساسية يجب أن تحتل مكاناً أرفع لدى الدعاة والمفكرين في ميادين الدعوة " [2]

---

(١) معالم في منهج الدعوة ، د/ صالح بن حميد ، ص : ١٢٢ .

(٢) السابق ، ص ١٢١

ومن خلال هذا الكلام ندرك تلك العلاقة الوثيقة بين التعاون والإخلاص وأثرهما في نجاح الخطاب الدعوي .

٥- **ضرورة فهم حقيقة الاختلاف** :- إن من أهم أسباب التعاون فهم حقيقة الاختلاف لأن غياب هذا الفهم من شأنه أن يؤدى إلى تشتيت الجهود الدعوية ، ويبعث على عدم التعاون والترابط .

" إن الداعية الحصيف هو الذى يفهم حقيقة الاختلاف المبني على الاجتهاد ، ويحسن الظن بإخوانه ، ويلتمس العذر لهم ، ويحرص على حماية أعراضهم والتعاون معهم ، وإشاعة الخير ، وله في ذلك نماذج من الأئمة والعلماء ... فهذا الإمام الشافعي يناظر يونساً الصدفي[١] ، فيختلفان ويفترقان ، قال يونس " فلقيني ، أي الشافعي ، فأخذ بيدي فقال : يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة ؟ [٢] " [٣] .

وبهذا الفهم الثاقب والعقل الراجح يتحقق التعاون والتقارب ويذهب

---

(١) هو أبو حفص بن حيان أبو موسى الصدفي المصري المقري الحافظ ، ولد سنة مائة وأربعين ، وحدث عن سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب ، وغيرهم ، وقرأ على ورش صاحب نافع ، وكان من كبار العلماء في زمانه ، وحدث عنه مسلم والنسائي وابن ماجة ، و أبو حاتم ، وأبو زرعة .. وغيرهم ، وقال النسائي ثقة ، توفى سنة أربع وستين ومائتين ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٢٩، ٣٤٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٠ .

(٣) مقومات الداعية الناجح ، ص : ١٠٣ .

التنافر والتناحر ، ونخلص من ذلك إلى أن : التضامن والمشاركة ، وتقوية روابط التعاون الوثيق بين الدعاة أفراداً ومؤسسات ، من شأنه أن يحقق أهداف الدعوة ويسهم في نجاح خطابها وفاعليته .

المطلـــب الرابـــع

الخلل في الجوانب السلوكية لدى بعض للدعاة وسبل التغلب على ذلك

لقد نشأت بعض أسباب ضعف الخطاب الدعوي نتيجة لخلل في الجانب السلوكي لدى البعض من الدعاة ، ولا شك أن تلك الأسباب تمثل سدا وحاجزا يحول بين المدعوين وبين تأثرهم بالخطاب الدعوي ، وذلك لأن هذا الخلل يتصل بالداعية ويرتبط ارتباطا مباشرا به فيؤثر سلبا على خطابه ، وهذا ما يستوجب من العاملين في حقل الدعوة الاهتمام بإصلاح مثل هذا الخلل ، والعناية بمعالجته والتحذير منه ، صيانة لخطاب الدعوة وحرصا على فاعليته وتأثيره ، وفيما يلي أعرض لأبرز مظاهر الخلل السلوكي لدى بعض الدعاة وسبل التغلب عليها في ضوء الدعوة الإسلامية :

أولاً : الانفصال بين القول والعمل وسبل التغلب على ذلك:

إن السلوك العملي للداعية له تأثير مباشر على الاستجابة للخطاب الدعوي والتجاوب مع الداعية والتفاعل معه ، فكلما كان سلوكه متوافقا مع ما يدعو إليه كلما انعكس ذلك على دعوته إيجابا، وعلى العكس من ذلك كلما كان سلوكه العملي منفصلا عن قوله كلما كان خطابه عديم الأثر ، فاقدا للنفع ، لأن صاحبه لم يتأثر به في نفسه ، فكيف يؤثر في الآخرين ؟

وقد ضرب ابن القيم رحمه الله مثالا بالغ الروعة في التصوير لحال هؤلاء الدعاة الذين يعاني خطابهم تناقضا وانفصالا بين الأقوال والسلوك فقال : " علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم . فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق " (١) .

ولا يخفى ما يشكله الانفصال بين قول الداعية وبين عمله وسلوكه من خطورة على الداعية الذى يعرض نفسه بذلك لغضب الله عز وجل ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ (٣)

وفى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال:- (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ (٤) فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ

(١) الفوائد ، ص ٩٤ ، ط دار الكتاب العربي ،بيروت، ١٤٠٨هـ

(٢) سورة الصف ،الآيتان ٢ ، ٣

(٣) سورة البقرة ،لآية ٤٤

(٤) فتندلق أقتابه أي : تخرج أمعاؤه من مكانها ، انظر الفائق في غريب الحديث ، للإمام الزمخشري ، ١/ ٤٣٤ ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ) (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : (إن الناس قد أحسنوا القول كلهم ، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه) (٢)

أما كيف يؤثر هذا التناقض بين الأقوال والسلوك على الخطاب الدعوي فيظهر ذلك في أن" النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بمن علمت أنه يقول ولا يعمل، أو يعلم ثم لا يعمل ، أضف إلى ذلك ان كثيراً من الناس لا يتجه نحو العمل حتى يرى واقعاً ماثلاً وأنموذجا مطبقا يتخذه اسوة ويدرك به أن هذا المطلوب أمر في مقدور كل أحد ، بل متى يكون المرء قدوة صالحة وأسوة حسنة ما لم يسابق إلى فعل ما يأمر به من خير وترك ما ينهى عنه من سوء ؟ " (٣)

ومن هنا فإن نجاح الداعية في مهمته مرتبط بموافقة قوله عمله وكونه قدوة للمدعوين ، فإن خالف ذلك كان وبالاً على الدعوة ونفر منه المدعوون .

وإن مما يفيد في التغلب على هذا الخلل في سلوك الداعية :

أ – أن يستشعر الداعية تقوى الله ومراقبته ، وأن يتصور مآل المخالفين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة ٢/ ١١٩١برقم ٣٠٩٤ .

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد ، ١/ ١٦٠ ، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) معالم في منهج الدعوة ، د/ صالح بن حميد ، ص ٨١ ،

لأقوالهم وكيف انهم يعرضون انفسهم لمقت الله عز وجل ، وأن يعلم ان القدوة الحسنة الصالحة أشد تأثيرا في النفوس.

ب- أن يتأسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم – وقد دعا الناس إلى القرآن الذي أنزل عليه ، ثم تمثل هذا القرآن سلوكاً وتطبيقاً عملياً حتى كان خلقه القرآن ، فكان ذلك السلوك العملي المطابق لما يدعو إليه من أبرز أسباب نجاح وفاعلية خطابه الدعوي - صلى الله عليه وسلم - .

ج - بالإضافة إلى ما سبق فإننا في هذا المقام لا نستطيع أن نغفل حقيقة أن الداعية وإن كان في مقام القدوة إلا أنه بشر قد يعتريه الخطأ والغفلة والزلل " فإذا حدث ذلك فليبادر بالتوبة والرجوع وليُعْلم أن هذا ليس بمانع من التأسي به والاقتداء، فالضعف البشري غالب والكمال لله وحده ولا معصوم إلا من عصم الله "(١)

وقد أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله :" وَأَمَّا مَنْ قَالَ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ إِلَّا مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ الْأَوْلَى فَجَيِّدٌ ، وَإِلَّا فَيَسْتَلْزِمُ سَدَّ بَابِ الْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ " (٢)

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله " " وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَقَالَتْ الْمُبْتَدِعَةُ : لَا يُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ إلَّا عَدْلٌ . وَهَذَا سَاقِطٌ ؛ فَإِنَّ

(١) معالم في منهج الدعوة إلى الله ، ص ٨٢.

(٢) فتح الباري ، ١٣/ ٥٣.

الْعَدَالَةَ مَحْصُورَةٌ فِي قَلِيلٍ مِنْ الْخَلْقِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّاسِ" (١)

وبهذا الكلام يتضح أن الداعية قد يكون متلبسا بشيء يتناقض وما يدعو إليه ، وليس ذلك بمانع من أن يؤدي عمله ، لكن عليه أن يعلم أنه حتى يكون كلامه نافعا للناس ينبغي أن يطابق قوله عمله بأن يمتثل ما يأمر الناس به ، وأن ينتهي عما ينهاهم عنه . **ونخلص مما سبق إلى أن الخطاب الدعوي حتى يكون فاعلا ومؤثرا ينبغي أن يكون صاحبه قدوة يطابق سلوكه قوله فيتأثر الناس به ويستجيبون له .**

ثانيا – فقد الداعية للإخلاص ، وسبل التغلب على ذلك :

إن من مقومات الخطاب الدعوي الناجح أن يكون مبنيا على الإخلاص لله تعالى ، نقيا من شوائب الرياء والعجب والسمعة والشهرة وحب الظهور ونحو ذلك من حظوظ النفس ، وبهذا التجرد يكون الخطاب أبلغ تأثيرا ، وأعظم فاعلية ، وأرجى قبولا عند الله تعالى .

وأما الخطاب الدعوي الذي لم يتجرد صاحبه لله تعالى فراح يقصد به الناس من أجل أن ينال مكانة أو يحظى بتعظيم ومنزلة فإنه بذلك يوهن الدين ويضر الدعوة ، فضلا عن أنه يعرض نفسه لسخط الله تعالى ؛ بل" كيف يُتصور من هؤلاء أن يُعَلِّموا الناس الإيمان ، وأن يدعوهم إلى الله ؟ إن الداعية المرائي يقترف جريمة مزدوجة . إنه في جبين الدين سبة متنقلة وآفة جائحة . وتقهقر الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء . وقد رويت آثار كثيرة تفضح سيرتهم

(١) "أحكام القرآن ، ١/ ٣٤٩ .

وتكشف عقباهم . والذى يحصى ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدى أدعياء التدين لا يستكثر ما أُعد لهم في الآخرة من ويل" (١)

إن الداعية الذى يوقع عن الله عز وجل لا يليق به ان يرائي الناس ويطلب الحظوة والمكانة عندهم بعمله ، لأنه بذلك يفسد هذا العمل ، وسوف يرد عليه كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم-بقوله : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال : الرياء ؛ إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)(٢)

ولا يقل العجب خطورة عن الرياء في هذا الباب ، حيث يجعل الداعية يستعظم نفسه ويروح يسفه من آراء الناس حوله متعالياً بخطابه عليهم ، فلا يرى إلا نفسه .

" ولا شك من أكبر الابتلاءات أن تتضخم نفس الداعية حتى يرى أن رأيه فقط هو الصواب ، وآراء المخالفين لا صحة فيها بوجه من الوجوه ، بل الأخطر أن يحاول إلزام الناس برؤيته وحده ، ويحمل غارة شنعاء على كل من يخالفه الرأي ، لعمرى إن هذا من سوء الفهم ، وقصور التربية ، وضعف النفوس " (٣)

---

(١) مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، ص ١٦٢ ،

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه ٥/ ٤٢٩ برقم ٢٣٦٨٦ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤط إسناده صحيح ، نشر مؤسسة قرطبة – القاهرة.

(٣) تأملات في فقه الدعوة ص٧٣

إن العجب بالرأي والنفس مذموم في الشرع ، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (ثلاث مهلكات :شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) (١)

وقال صلى الله عليه وسلم (.. ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ – يَعْنِى بِنَفْسِكَ – وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ..) (٢)

وأما وجه كون عجب الداعية بنفسه ورأيه عقبة في سبيل فاعلية خطابه الدعوي وتأثيره فبيانه " أن عجب الداعية وتعاليه على الناس يكشف عيوبه لأعينهم الفاحصة المتتبعة فيستسخفونه ويستخفونه ويوجهون له نظرات ازدراء واحتقار عقوبة على تعاليه واستكباره وعجبه بنفسه ويرونه مغرورا يتعالى بنفسه وهو وضيع ويتعاظم وهو حقير ...إن الناس بحسب ما فطروا عليه من صفات نفسية يكرهون المستكبرين المعجبين بأنفسهم الذين يتعالون عليهم ، ويحبون ويقدرون المتواضعين موطئي الاكناف الذين يألفون ويؤلفون" (٣)

وهكذا يقف العجب حائلاً بين الداعية وبين المدعوين الذين لا يرضون منه

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب الخوف من الله تعالى ، ٥/ ٤٥٢ برقم ٧٢٥٢ نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، وعبد الرزاق في مصنفه ، باب فتنة النساء ، ١١/ ٣٠٤ ، برقم ٢٠٦٠٦ نشر المكتب السلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : ومن سورة المائدة ٥/ ٢٥٧برقم ٣٠٥٨ ، وقال الإمام الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٣) فقه الدعوة إلى الله ، الميداني ١/ ٥١٠

هذا المسلك فينفرون منه ويبتعدون عنه .، ومن هنا كان لا بد من أجل أن يكون خطاب الداعية فاعلا ومؤثرا من إصلاح للنفس ومعالجة لتلك الآفات النفسية الناشئة عن فقد الإخلاص .

ويتمثل منهج الدعوة الإسلامية في معالجة تلك الآفات في أمور منها :

" أ- تعميق مراقبة الله تعالى في نفسية الداعية .

ب – ان يتصور مآل المرائين ومصيرهم.

ج – أن يطبع نفسه على إخفاء الأعمال اللهم إلا إذا كان العمل مما لا يمكن لصاحبه ان يفعله إلا ظاهرا فلا يجوز شرعا ان يتركه بحجة المراءاة بل واجب عليه ان يفعله ثم يجتهد مخلصاً في دفع الرياء عن نفسه وذلك بتجريد النية والتوجه إلى الله عز وجل والاستعانة به "(١)

د – على الداعية أن يدرك أن المدعو حين يشعر منه بفقد الإخلاص فلن يسمع له ولن يقبل منه ، وسوف تضيع هيبة الداعية في نفوس المدعوين الذين كان يعمل من أجل ثنائهم ومدحهم .

هـ – على الداعية إذا وجد في نفسه شيئاً من العجب "أن يعلم أن الله سبحانه هو المنعم عليه بإيجاده وإيجاد أعماله ، فلا معنى لعجب عامل بعمله ولا عالم بعلمه ولا جميل بجماله ولا غنى بغناه إذ كل ذلك فضل الله تعالى ، وإنما الآدمي محل لفيض النعم عليه " (٢) .

---

(١) مدرسة الدعاة ٢/ ٤٩٨ بتصرف

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٢٢

و- لا بد وأن يستقر في نفس الداعية أن "العجب من نزغ الشيطان الذى يفسد النفوس والقلوب ويفسد الأعمال ويقيم بين الداعية والمدعو عقبة صادة كريهة ويجعل ما يحمله الداعية للناس من رسالة الهداية والإصلاح عديم الأثر " (١) .

وفي ضوء هذا الكلام نخلص إلى أن تمحيص الإخلاص في العمل الدعوي من آكد أسباب فاعلية الخطاب الدعوي ونجاحه ، وعلى قدر إخلاص الداعية يكون توفيق الله له .

ثالثا : ـ يأس الداعية من الإصلاح والتغيير وسبل التغلب على ذلك :

من المشكلات التي تواجه الخطاب الدعوي وتضعف من فاعليته ، أن ييأس الداعية ممن يدعوهم ، ويدفعه اليأس إلى القعود عن العمل الدعوى ، وعدم الرغبة في تغيير واقع المدعوين وتحقيق أهداف الدعوة .

ولا شك أن هذا اليأس من الداعية خلل يتنافى مع دعوة الإسلام التي حذرت منه في مثل قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢)

" إن هذه الظاهرة من اليأس والتثبيط إذا استفحلت في أمة وترسخت في نفسية الدعاة فإنها في الحقيقة القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي ، والحالقة التي تحلق التفاؤل بالنصر "(٣)

---

(١) فقه الدعوة إلى الله ، حبنكة الميداني، ١/ ٥١٢

(٢) سورة يوسف آية رقم ٨٧

(٣) مدرسة الدعاة ٢/ ٥٩١

وفي ضوء هذا الكلام تتضح خطورة اليأس في ميدان العمل الدعوي ، لأنه يمثل هزيمة نفسية تفضي إلى أن يفقد الخطاب الدعوي نشاطه وفاعليته .

إن أعداء الأمة يدركون خطر الهزيمة النفسية وشدة آثارها ، ومن ثم يعملون جاهدين على نشر الفكر الانهزامي بين المسلمين عموماً وبين دعاتهم ومصلحيهم على وجه الخصوص ، وذلك حتى تبقى الأمة تابعة ذليلة ، لا ترفع رأساً ولا تملك من أمرها شيئاً ، ومن هنا كان لابد من مواجهة هذا الفكر والعمل على التخلص من آثاره السيئة ، " فالهزيمة النفسية تفوق بكثير في آثارها ونتائجها الهزيمة العسكرية ؛ لأن الهزيمة العسكرية قد تتحول إلى نصر يوم أن تنطلق الإرادة لتواجه التحدي ، لكن الهزيمة النفسية تظل تقيد إرادة الإنسان ، وتعطل قدرته على المقاومة ، وتدفعه للشعور بالإحباط لتقضى على أي أمل للإصلاح ، وبدلاً من أن يبحث عن أي سبيل للخروج من الأزمة يكتفي بالعويل ، وأن لا مجال للخروج من الأزمة إلا بالاستسلام والرضا بالواقع "[1] .

وفي ضوء هذا الكلام تتضح بعض الآثار الخطيرة والمدمرة للهزيمة النفسية ، وماذا يمكن أن تحدثه في الأمة بصفة عامة ، وفي دعاتها على وجه الخصوص .

□

(١) فكر الهزيمة ، خطره وسبل مواجهته ، د / محمد بخيت ، ص : ٢٧ ، بحث مقدم إلى مؤتمر " الإسلام والتحديات المعاصرة " المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة في إبريل ٢٠٠٧ م.

وأما كيف يمكن التغلب على هذا الخلل الذي من شأنه أن يؤثر على الخطاب الدعوي فيتمثل فيما يلي :

١- الأخذ بالأسباب وإيكال أمر النتائج إلى الله تعالى : على الداعية ألا يترك نفسه لليأس والقنوط مهما كانت الأسباب ، وعليه أن يوطن نفسه على الثبات والتحلي بروح التفاؤل والأمل، وأن يَكِل أمر النتائج إلى الله عز وجل ، وعليه أن يعلم أن دوره هو البلاغ " وليس مسئولاً عن تحويل الناس وتغييرهم من الكفر إلى الإيمان ومن العصيان إلى الطاعة ، ولا يسأل عن عدد من استجاب له واتبعه ما لم تكن لديه سلطة التغيير بيده داخل المسلمين " (١)

٢- على الداعية أن يدفع هذا اليأس بحسن الظن بالله تعالى، وترسيخ معاني الإيمان والعقيدة في النفوس من خلال: " المعرفة الحقة بالله تعالى ودوام النظر في آياته المنظورة في الكون وفي النفس ، وآياته المسطورة في كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟، فإن ذلك يعرفنا بالله جل جلاله؟ معرفة حقة تقود إلى حسن الظن به عز وجل، وأنه ناصر دينه و ومؤيد أهله وأولياءه "(٢)

٣ - مما يفيد الداعية في هذا الباب أن يستلهم من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ما يدفعه إلى العمل والصبر وتحمل الشدائد ، فكم واجهتهم من مصاعب ، وكم عانوا من تكذيب أقوامهم فما وهنوا ، وما تسرب إليهم يأس ، وانطلقوا في دعوتهم لا يثنيهم عنها شيء ، حتى نصرهم الله وأيدهم .

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، الميداني ١/ ٣٦٢

(٢) زاد على الطريق ،د/ سيد نوح، ص ٩٨

ومن خلال تلك الخطوات يستطيع الداعية بإذن الله تعالى أن يتغلب على اليأس والقنوط .

رابعاً : الفتور وضعف الهمة وسبل التغلب على ذلك :

إن الخطاب الدعوي لا يحمل همه ولا يقوم بمسئوليته وتبعاته إلا عاليَ الهمة صادق العزيمة قويَّ الإرادة ممن يستشعر عظم مسئوليته ويريد أن يكون أهلاً لها ، فلا يعرف الفتور والكسل طريقا إلى قلبه ، على حد قول القائل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارُها وتصغر في عين العظيم العظائم[1]

ودعوة الإسلام تحث الداعية أن يكون عالي الهمة ، صادق العزم ، صابرا مثابرا ، لا يصده عن طريق الحق صاد ، ولا يقف أمام خطابه عقبة ، يؤدي دوره ويقوم بمهمته على أكمل الوجوه .

" وقد تواردت نصوص القرآن والسنة في حث المؤمنين على ارتياد معالى الامور فمن ذلك : ذم ساقطي الهمة، وتصويرهم في أبشع صورة كما قص الله علينا من قول موسى –عليه السلام لقومه: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[2] ، ...ومن ذلك ذم المنافقين المتخلفين عن الجهاد لسقوط همتهم، وقناعتهم بالدون، فقال في شأنهم: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾[3]، وأما

(١) البيتان للمتنبي ، في صدر قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ١/ ٢٧٤ ،

(٢) سورة البقرة ، آية رقم : ٦١

(٣) سورة التوبة آية رقم ٨٧

أصحاب الهمم العالية، فقد أثنى الله تعالى عليهم وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم خاتمهم محمد – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(١) وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما أوضحه الله –عز وجل– في قصص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين." (٢)

وفى ضوء تلك النصوص ينبغي على الداعية أن يتخلص من الفتور ، وأن يسعى في دعوته دونما سأم أو كسل ، مقتدياً في ذلك بأنبياء الله عز وجل وتابعيهم ممن علت هممهم ، وإذا علمنا أن أعداء الدعوة لا يملون ولا يفترون ولا يقعدون من أجل نشر باطلهم والانتصار له ، فإن ذلك أدعى لأن ينفض دعاة الإسلام عن وجوههم غبار الفتور والكسل .

وإن مما يعين الدعاة إلى الله تعالى في التغلب على الفتور وضعف الهمم:

" دوام النظر و المطالعة في كتب السيرة و التاريخ و التراجم ، فإنها مشحونة بكثير من أخبار العاملين المجاهدين ، أصحاب العزائم القوية والإرادات الصادقة التي تسرى عن النفس ، وتسليها وتولد فيها حب الاقتداء والتأسي ، كذلك لا بد من الوقوف على معوقات الطريق من أول يوم في العمل : حتى تكون الأهبة ، ويكون الاستعداد لمواجهتها و الغلب عليها ، فلا يبقى مجال لفتور أو انقطاع ، كما

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٣٥

(٢) علو الهمة، د/ محمد اسماعيل ، ص ١٢٦ : ١٢٨ بتصرف ، دار الإيمان ، ط ٢٠٠٤

لا غنى للدعاة في هذا المقام من صحبة الصالحين من أصحاب الهمم العالية ، إذ أن هؤلاء لهم من الصفاء النفسي والإشراق القلبي ، والإشعاع الروحي ، ما يسبى ، ويجذب بل ما يحرك الهمم و العزائم ، ويقوى الإرادات "(١)

وفي ضوء هذا الكلام نخلص إلى ضرورة الهمة العالية للداعية من أجل أن يكون خطابه فاعلا ومؤثرا

□

(١) آفات على الطريق ، د/ سيد نوح ، ١/ ١٤،١٥ بتصرف

المبحث الثاني

أسباب ضعف الخطاب الدعوي المتعلقة بواقع الدعوة

مدخل :

كما أن هناك أسباباً تؤثر على الخطاب الدعوي ترتبط بالداعية ، فإن هناك أيضا أسباباً تؤثر على هذا الخطاب وتقف إزاء فاعليته وحيويته، لكنها مرتبطة بواقع الدعوة المعاصر والظروف المختلفة المحيطة بها والتي لا شك تتأثر بها الدعوة إلى الله تعالى .

ولا شك أن هذا الواقع الدعوي الحافل بالأسباب التي أدت إلى ضعف خطاب الدعوة يقتضي من الغيورين على الدعوة الوقوف مع تلك الأسباب تحليلا وتشخيصا ومعالجة لأن تلك الأسباب تمثل عقبات تقف في طريق الدعوة ومن ثم ينبغي التعامل معها ومحاولة إزالتها من أجل الحصول على خطاب دعوي فاعل ومؤثر.

ويرى البعض " أن المشكلات التي تأتى من خارج المناخ الدعوى تكون أقل ضرراً وتأثيراً من تلك المشكلات التي تبتلى بها الدعوى من بعض أهلها أو المحسوبين عليها ، فتلك الخارجية مرصودة ومتوقعة بحيث يسهل مراجعتها أو على الأقل التخفيف من نتائجها "(١).

(١) النقد الذاتي للواقع الدعوى ، لسليمان بن عبد العزيز الربعي ، مقال بمجلة البيان ، عدد ١١٦ ، ص : ٢٤ بتصرف .

وعلى كل حال فإن القيام بأمانة الدعوة إلى الله تعالى والحرص على هداية المدعوين يقتضى من الدعاة إلى الله تعالى البحث عن كل ما من شأنه أن يعترض طريق الدعوة ويحول دون انتفاع المدعوين بها سواء أكان ذلك الأمر مرتبط بالدعاة ومنهجيتهم أم مرتبط بشيء خارج عنهم، وفيما يلي أبرز أسباب ضعف الخطاب الدعوي المرتبطة بواقع الدعوة والظروف المحيطة بها مع ذكر سبل التغلب عليها ، وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلـــب الأول

الوسائل المضادة للعمل الدعوي لدعوي وسبل التغلب عليها

لا يخفى دور الوسائل المضادة للعمل الدعوي وأثرها السيء على خطاب الدعوة وفاعليته ، ولا شك أن من أبرز تلك الوسائل وسائل الإعلام المختلفة التي تتخذ منهجا مشبوها من خلال التشويش على الدعوة والدعاة ، فضلا عن نشر الفساد والانحلال والتحلل من القيم والأخلاق.

" إن بعض وسائل الإعلام المعاصرة في بعض البلاد الإسلامية ، تدور في دائرة واحدة عنوانها حرب الإسلام ، من خلال تشويه حقائقه ، والكذب والافتراء عليه وعلى شريعته وعقيدته ونبيه ودعاته ، وإهمال البرامج الدينية ، وحجب محاسنه عن الناس " (١)

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ، ووسائل علاجها ،بتصرف ، د/ محمد أمين حسن ، ص ٩٢

كما عملت تلك الوسائل "على محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة بالتلميح مرة وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهاراً ، بالإضافة إلى إفساح المجال للمنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى في كثير من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية على أن منهم من هو منحرف خلقيا وأنهم طلاب دنيا.. حتى لا يستمع الناس إليهم ولا يثقوا في كلامهم ، وبذلك تخلو الساحة لهذه النوعية المضلة لبث دعواهم "(١)

وقد أعطى الانفصال بين الخطاب الدعوي والإعلام الرسمي فرصة لإضعاف الخطاب الدعوي والوقوف تجاه تحقيقه لأهدافه " من خلال التشويش بشكليه الميكانيكي والدلالي على الدعوة من الإعلام ، وفي بلاد المسلمين وحدهم يقوم الإعلام بعملية إيقاع ماكرة بين الحكومة والدين ، وبين الدولة والدعوة مستعملاً أسلوبي التشكيك والتشويش معاً "(٢)

أضف إلى ذلك أن الإعلام الإسلامي يعانى من ضعف شديد سواء من الناحية التقنية المتعلقة بوسائل الاتصال الحديثة أو فيما يتعلق بالناحية المهنية ويمكن إبراز أسباب هذا الضعف وما ترتب عليه من مشكلات فيما يلى :

أ – الخلل في الممارسات والتطبيق : لقد تمثل ذلك الخلل في الانفصال بين

(١) العلمانية وثمارها الخبيثة ، د/ محمد شاكر الشريف ، ص : ١٥ ، بتصرف

(٢) فقه الدعوة والإعلام ، ص : ٧٢ .

المنهج الواضح لدعوة الإسلام وبين سلوك بعض المؤسسات الإعلامية الإسلامية " فهنالك مؤسسات إعلامية يقوم عليها إسلاميون، جعلوا هدفهم ونصب أعينهم ـ كما يقولون ـ الانطلاق من ثوابت الإسلام وعقيدته، ولكنَّ النظرية لا تغني عن التطبيق فنشاهد مجازفات ومخالفات واضحة في خط بعض المؤسسات الإعلامية الإسلامية، من ظهور شخصيات لا تمت للمنهج الإسلامي بصلة ... ويحاولون أن يبثوا سموماً وفتناً وشبهات في آذان المستمعين " (١)

ب – **ضعف التأهيل الإعلامي المطلوب** : وتمثل ذلك في قلة وجود كوادر إدارية عندها من الحكمة والحنكة ما يساعد على الارتقاء بمؤسسات الإعلام الإسلامي وذلك نتيجة لغياب التخطيط وضعف التأهيل الإعلامي المناسب " فنجد في كثير من الأحيان أنَّ العمل في بعض هذه المؤسسات الإعلاميَّة، تحت إدارة بعض المشايخ الثقات، ولكنَّ بضاعتهم في علوم الإدارة والتخطيط للمشاريع مزجاة وضعيفة، فضلاً عن العمل في كثير من الأحيان بروح الفوضويَّة والتكاسل والتواكل، وقلَّة الخبرة مع اشتغال الوساطات والمحسوبيات في بعض الوظائف الإعلامية، والتي لا تحسن الإدارة في هذه المؤسسات، مع أنَّها تظن أنها تحسن صنعاً، وكم من مريد للخير لم يصبه "(٢)

جـ – **التعصب في بعض المؤسسات الإعلامية** : وقد بدا ذلك واضحا في

---

(١) الإعلام الإسلامي في خط المواجهة ، خباب الحمد ، موقع المسلم على الرابط/ /http://www.almoslim.net/node/١٢١٧١٥

(٢) السابق نفسه .

تلك النظرة الحزبية المتعصبة لبعض مؤسسات الإعلام الإسلامي : " فقد تجد بعض المؤسسات الإعلامية شخصا يحمل منهجاً إسلامياً نقياً وخبرة إعلامية واعية ، لكنَّه يختلف معهم في بعض التصورات والمفاهيم، فيرفضونه بدلاً من أن يبقوه معهم ! " (١) .

ولا شك أن تلك المشكلات في الإعلام الإسلامي ساعدت على قوة الإعلام المضاد ، مما أضعف دور الخطاب الدعوي وحال دون التأثر به ، وهو الأمر الذي يملي علينا ضرورة التغلب على تلك المشكلات من أجل التوصل إلى خطاب دعوي فاعل ومؤثر يستطيع أن يقي المخاطبين من آثار الإعلام المضاد

ويمكن التغلب على تلك المشكلات من خلال:

١ – العمل على وجود إعلام هادف ودعمه ، معنويا وماديا حتى يؤدي دوره في تفعيل الخطاب الدعوي ، وإذا كان الإعلام أحد أهم وسائل التأثير على الرأي العام ، فإن الواجب على كل غيور على الدعوة أن يتوجه بالعناية والرعاية للجانب الإعلامي حتى تكون مخرجاته هادفة وما يبثه يبني ولا يهدم ويصلح ولا يفسد ، وهذا بدوره يستدعى من رجال الإعلام أن يكونوا على قدر مسئوليتهم وأن يتحملوها بأمانة ووعى وحرص على تقديم النفع للناس .

٢ – وحتى يكون رجال الإعلام كذلك ينبغي أن يعدوا إعداداً يتناسب مع رسالتهم سواء على مستوى التأهيل العلمي أم على مستوى الالتزام الأخلاقي

---

(١) السابق نفسه .

والسلوكي .

٣ – وإلى جانب الإعداد الجيد ينبغي أن تكون رسالة الإعلام ذات مضمون واضح نصل من خلاله إلى تحقيق الأهداف والغايات المنشودة من الخطاب الدعوي، والتي من أهمها : هداية الناس وتوجيههم إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم .

ومن خلال هذا الكلام نخلص إلى أن فاعلية الخطاب الدعوي ينبغي أن تكون من القضايا المحورية في الإعلام الإسلامي ، خاصة في ظل التشويش المتعمد من وسائل الإعلام المضاد ، والذى ينبغي أن يقابل بنشاط إعلامي يقوم بدوره في نشر خطاب الدعوة وتبليغها والدفاع عنها .

المطلـب الثانـي

الغزو الثقافي وأثره على الخطاب الدعوي وسبل التغلب على ذلك:

يعد الغزو الثقافي من أبرز التحديات التي يواجهها الخطاب الدعوي المعاصر ، وقد حرص أعداء الأمة على هذا النوع من الغزو بعد أن أدركوا أن تحويل المسلمين عن دينهم بالقوة أمر غير ممكن ، فكان هذا الغزو الثقافي الذي اتخذ وسائل عدة من أهمها العمل على إضعاف الخطاب الدعوي الإسلامي وسلخ المسلمين عن دينهم بهدف إبعادهم عنه .

" ويتمثل الهجوم الثقافي على الخطاب الدعوي الإسلامي في الانتقادات والاتهامات الموجهة لهذا الخطاب ، والتي تهدف إلى التمرد على الإسلام وتشريعاته ومبادئه التي تشكل الأمن الثقافي والسياسي والعسكري لهذه الأمة ، ولكيانها الحضاري ،

متذرعة بالتجديد في الخطاب أحيانا ، وبالإصلاح أحيانا أخرى إلى غير ذلك من المصطلحات الخادعة و التي يتم تسويق مشاريع الهيمنة الثقافية من خلالها " (١)

وقد أخذ هذا الغزو مظاهرة عديدة ، وكلها في النهاية تعمل على إضعاف الدين في نفوس المسلمين ، ومن أبرز مظاهر الغزو الثقافي التي عملت على إضعاف الخطاب الدعوي :

" **أولاً** : **حملات التشويه**. فإذا ما بحثنا في حملات التشويه – والتي كانت مظهرًا من مظاهر الغزو الفكري – وجدنا أن هذه الحملات مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ونظم وتراث وتاريخ وفكر وحياة.

ثانياً : **إحياء النزاعات الجاهلية التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام** ...والدعوة إلى التحلل والإباحية: وهذه دعوة خبيثة ، لأنها تطعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة، ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

ثالثاً : **التعليم والثقافة**: ولا يخفي أن الغزو الفكري ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أي مظهر آخر.

رابعاً : **الخدمات الاجتماعية**: وهي مظهر من مظاهر الغزو الفكري، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامي أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره من خلال الخدمات الاجتماعية، ولذلك أصبحت

(١) معالم الخطاب الدعوي عند النبي صلى الله عليه وسلم ، د/ طالب أبو شعر ، ص ٦

الملاجئ، والمستشفيات، والمستوصفات، والجمعيات الخيرية ، ووكالات الإغاثة ، ودور الأيتام والمسنين ، وغيرها . " (١)

ومن خلال هذا الكلام يتضح كيف يؤثر الغزو الثقافي على الخطاب الدعوي من خلال تهميشه وإضعاف أثره من خلال الهيمنة على كافة مناحي الحياة الإسلامية ومحاولة إبعاد أي أثر للدين فيها ، وهذا ما يستدعي تكاتف الجهود من أجل مواجهة هذا الغزو ، والعمل على الحد من آثاره .

وفيما يلي بيان بعض الأساليب التي من خلالها يمكن الوقوف تجاه الغزو الثقافي:

١ – **التحذير من الغزو الثقافي** وبيان خطورته على الأمة ، والتبصير بأضراره على الخطاب الدعوي ، وفضح وسائله ومخططاته في العالم الإسلامي .

"وهذا دور العلماء والباحثين والدعاة ، فكلهم مدعوون للإسهام كل على قدر استطاعته في التوعية بهذا الخطر ، والتنبيه إليه ، وفضح ركائزه ومؤسساته أمام الرأي العام المسلم ، وأمام كل الفئات بدءا من الفرد وانتهاء بالدولة...ويمكن أن تتم هذه التوعية من خلال وسائل كثيرة مثل الكتاب أو المجلة أو الإذاعة والتلفزيون أو الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) ، ويمكن من خلال إصدار نشرات توعية تدر عن المؤسسات الدعوية ، أو الهيئات الدعوية الرسمية الشعبية ، أو استغلال التسجيلات الصوتية والمرئية والاستفادة منها .. " (٢)

---

(١) الغزو الفكري في التصور الإسلامي ، د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، بحث منشور بجلة مجمع الفقه الإسلامي ،العدد ٧، ص ٢١١١ إلى ٢١١٨ بتصرف .

(٢) الغزو الفكري التحدي والمواجهة ، د/ اسماعيل علي محمد ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، نشر دار الكلمة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣م .

ولا شك أن تغيير هذا الواقع الذي يعاني من آثار هذا الغزو الثقافي ليس بالأمر السهل ، وإنما يحتاج إلى صبر ومثابرة وجهد وعزم ، ولذلك فإن الدعاة إلى الله عز وجل مطالبون " بالتأسي بالنبي ﷺ في دعوته ، مع الحاجة إلى الكشف المستمر لمكايد أعداء الإسلام وفضح مخططاتهم وتعرية أهدافهم ، وإزاحة الأقنعة عن وجوههم الحقيقية ، وكشف زيف أفكارهم ، ومفهوماتهم ومذاهبهم ودعواتهم ، ومع استخدام كل أساليب البيان وكل وسائل الإعلام المتاحة التي يستطيع حملة الرسالة الانتفاع بها "[1] .

٢- **العناية بتربية المدعوين تربية إيمانية صحيحة** من خلال خطاب دعوي يعمل على ترسيخ معاني العقيدة في نفوسهم ، وبث قيم الإسلام وصورته الصحيحة ومبادئه في نفوسهم ، وتمثل تلك التربية حائط صد منيع تجاه حملات التشويه والكذب والدسائس التي يقوم بها أصحاب هذا الغزو والمروجون له ، وتبدو أهمية تلك التربية في كونها العنصر الوقائي الفعال ضد إفرازات هذا الغزو ونتائجه الضارة ، وكما قيل : الوقاية خير من العلاج .

٣- **مواجهة هذا الغزو مواجهة علمية** تكشف باطله ، وتقوض بناءه الزائف ، وتفضح زيفه وتحصن أهل الإسلام منه ، وتظهر أهمية تلك المواجهة في أن الفكر لا يقاوم إلا بالفكر " فإذا كان عماد الغزو الفكري هو الحرب بالكلمة والرأي والشبهة والفكرة ...فإن أمضى الأسلحة في مواجهته أن تكون من نفس الجنس ،

(١) فقه الدعوة إلى الله ، للشيخ الميداني ، ٢/ ٥٩٧.

مع ملاحظة أن الحجة ناصعة البرهان ، لذا فلن يكون أجدى من أن نقاوم الغزو بالعمل على نشر الحق وإذاعة الفكر الإسلامي المنبثق من الكتاب والسنة ، فإن هذا العمل من شأنه أن يحصن المسلمين من جانب ويهتك أستار الباطل من جانب آخر"(١)

ومن خلال تلك الوسائل نستطيع مواجهة الغزو الفكري والعمل على وقاية المجتمع من مضاره .

المطلـــب الثالـــث

ضعف الكفاية المادية وسبل التغلب على ذلك :

من الأمور البدهية أن نجاح أي عمل وازدهاره يقوم على أسس ، ومن أهم تلك الأسس الكفاية المادية اللازمة ، ولذلك إذا كنا نتحدث عن الدعوة إلى الله تعالى والتي هي أشرف الأعمال وأجلها قدرا ، فإننا ينبغي أن ندرك أن نجاح تلك الدعوة وفاعلية خطابها وتأثيره لن يتأتى دون كفاية مادية تتوجه إلى الدعوة وإلى الدعاة على حد سواء .

إن الخطاب الدعوي له مجالات متعددة ومتطلبات كثيرة حتى يؤتي ثماره ، ولن ينهض هذا الخطاب إلا من خلال دعم مادي يغطي كافة مجالاته ويلبي احتياجاته.

وإن نظرة فاحصة إلى الواقع الدعوي المعاصر فيما يتعلق بالدعم المتوجه إلى

---

(١) السابق ، ص ٣٣٧.

الدعوة لتجعلنا ندرك سببا من أبرز أسباب ضعف الخطاب الدعوي وتراجعه ، وذلك أن ما يرصد للدعوة من ميزانيات لا يتناسب مع حجم متطلباتها التي تزداد يوما بعد يوم ، في ظل المتغيرات التي يشهدها واقع الدعوة من وجود أفكار ودعوات هدامة ، وغزو فكري يرصد له من الميزانيات ويتاح له من الإمكانات والوسائل ما لا يتاح للدعوة إلى الله تعالى

" ولولا أن الإسلام حق ثابت مؤيد بتأييد الله تعالى له لما بقيت له بقية أمام جحافل الظلم والطغيان المزودة بكافة الوسائل الدعوية الحديثة من نشرات ومجلات وصحف ورسالات ومسارح وإذاعات وذلك كله للوصول إلى قلوب الناس في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم " (١)

وحسبنا في هذا المقام أن ننظر إلى الدعم المادي المرصود لأجهزة الدعوة في العالم الإسلامي ، وبين ما ترصده الحكومات الغربية من أجل الغزو الفكري ، سوف تجعلنا تلك المقارنة ندرك ما يعانيه خطاب الدعوة نتيجة لنقص الدعم المادي وعدم كفايته.

" إننا إذا رجعنا إلى الدعوة الإسلامية وقارنا ما هو مخصص لتمويلها في ميزانيات الدول الإسلامية بما تملكه أجهزة الغزو الفكري وما يرصد لها في ميزانيات الدول التي تمارسه ، بدا لنا العجز الكبير في إمكانات الدعوة على المستويين الداخلي والخارجي من حيث القدرة المالية اللازمة ، والتي بدون توافرها

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ، ووسائل علاجها ، د/ محمد أمين حسن ، ص ٨٨

تصبح هذه الدعوة بين موجات الغزو الفكري قزماً بين عمالقة شداد ، إن قصور التمويل عن الوفاء بمتطلبات الدعوة وأجهزتها وفاء يمكنها من أن تصمد في معركة الصراع وتطور من أسلحتها ووسائلها وتكيف نفسها بالأساليب الملائمة في حرب المواجهة الفكرية والمذهبية ، جعلها كالحمائم بين النسور "[١] .

وفضلا عن ذلك فإن الداعية إلى الله تعالى وهو ركن الدعوة وعمودها ، في حاجة ماسة إلى دعم مادي يكفي متطلباته وحاجياته حتى يؤدي دوره وينهض بخطابه على الوجه المطلوب ، ولا ينشغل بغير الدعوة كما هو واقع بعض الدعاة ممن لا يتفرغون لدعوتهم من أجل أن يكفوا أنفسهم مؤن الحياة وشظف العيش .

ومن هنا " فإن الداعية يجب أن يحاط بيسر مادى يمكنه من الحصول على حاجياته ويقضى له لوازمه من مأكل ومشرب ، كما أن اليسر المادي للداعية دافع إلى الاهتمام بما يقول ويفعل ، لأن الناس جبلوا على احترام القوة والإعجاب بالغني والجاه ، وعدم إعطاء الداعية هذا العامل المؤثر ضرر بالدعوة في نفس الوقت . إن الدعوة يجب أن تحاط بكافة عوامل الترغيب والترهيب ، ومن مرغباتها إحاطة الداعية بهذا اليسر ، وليس المراد باليسر أن يكون من أغنياء الناس ، ولكننا نقصد به التمكن من مواجهة أعباء الحياة مع الناس بصورة وسط ، ولقد امتن الله على رسوله بتحقيق هذا اليسر فقال تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰٓ ۝٨ ﴾ [٢] أي وجدك فقيراً

(١) مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها ، د / محمد حسين الذهبي ، ص : ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) سورة الضحى الآية رقم ٨ .

فأغناك بمال خديجة ، وتلك نعمة مكنت النبي ﷺ من التفرغ للتعبد والتفكير حتى تهيأ للدعوة إلى الله تعالى "(١) .

ومن خلال تلك الكفاية المادية للدعاة إلى الله تعالى ، وللدعوة من قبلهم نضمن خطابا دعويا فاعلا ومؤثرا، وكيف لا وقد انطلق الداعية المعد إعدادا جيدا بكل قوة وعزم يؤدي مهمته ، وقد توفرت حاجياته ، لا يشكو هما ، ولا يعتريه قلق ، ولا يفكر إلا في دعوته ونجاحها .

سبل التغلب على ضعف الكفاية المادية :

١ – على مستوى الدعوة :

إن الدعوة مسئولية الأمة جميعها ، ومن هنا كان لابد من التكاتف والتضامن من أجل توفير دعم مادى ومعنوي للدعوة إلى الله عز وجل داخل بلاد المسلمين وخارجها ، ولهذا فإن الدول الإسلامية مطالبة بتأمين كفاية مادية للدعوة إلى الله تعالى تفي بمتطلباتها وتحقق أهدافها وتزيل المشكلات والعقبات التي تعترض طريقها.

ويتأكد ذلك الأمر قياما بمقتضى المسئولية الدعوية " والتي تقتضي من الدول التي تعتنق الإسلام وتؤمن به وتعلم عظم المسئولية أمام الله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (٢) أن يخصصوا مبالغ مالية من ميزانيات

(١) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٢) سورة الحجر الآيتان رقم : ٩٢ – ٩٣

دولهم لتمويل الدعوة الإسلامية التي يقوم عليها دين الإسلام وهي القطب الأعظم له بسلامتها يقوم الإسلام ويتقدم وبمحاربتها يقف الإسلام ولا يتقدم " (١)

ولا شك أن الدول الإسلامية الغنية عليها دور عظيم في هذا الشأن ، قياما بحق الدعوة ووفاء بمتطلبات نجاحها وانتشارها، كما أنه لا ينبغي في هذا المقام أن نغفل دور الأغنياء من المسلمين وأصحاب الأعمال الذين ينبغي أن يوجهوا شيئا من أموالهم وصدقاتهم للدعوة إلى الله تعالى دعما لها حتي تؤتي ثمارها بإذن ربها .

٢ - على مستوى الدعاة :

الدعاة إلى الله هم القائمون على أمر الدعوة ، الحريصون على انتشار خطابها ونجاحه وفاعليته ، ومن ثم ينبغي أن يقدم إليهم كل عون ودعم مادي ومعنوي ، ولذلك فإنه في سبيل الارتقاء بمستوى الدعاة توصلا لنجاح دعوتهم وقيامهم بمهمتهم ينبغي ما يلي :

" أ- منح الدعاة الرواتب المجزية التي لا تقل عن رواتب نظائرهم من أصحاب المهن الأخرى ، وأهمية عمل الدعاة يفوق أي عمل آخر في قيمته ووسائله ونتائجه .

ب- تمتع الدعاة بكافة الامتيازات التي يتمتع بها كافة موظفي الدولة من علاج مجاني وإجازات وفرص للترقية .

ج- استحداث وظائف عليا للدعاة يصلون إليها بالترقي وفق قواعد معينة

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ، ووسائل علاجها ، د/ محمد أمين حسن ، ص ٨٨

ثابتة ، وليس هناك ما يمنع من إنشاء وظائف المستشار الديني في كل مؤسسة ومصلحة لإبراز رأى الدين وتوجيهاته .

د – منح الدعاة السكن المناسب الذى يسمح لهم بالاستقرار العائلي والهدوء النفسي ، ويسمح لهم باستقبال أصحاب الحاجات وطلاب المعرفة .

هـ – تيسير وسائل الانتقال للدعاة على أن تكون على وجه لائق مناسب للبيئة التي يعيشون ويتحركون فيها .

و – تكليفهم ببعض المسئوليات الاجتماعية في المنطقة التي يدعون فيها ، وذلك كالفصل في المنازعات والإشراف على المؤسسات الشعبية كتعليم الكبار ، وهذا من أجل إبرازهم أمام الناس في دور المسئول الهام .

ز – منعهم من القيام بأي عمل آخر غير الدعوة ، وما دام قد يسرت لهم الحياة الكريمة والكسب الحلال فلا حاجة بعد ذلك لأى عمل "[١] .

وفي ضوء تلك الوسائل يمكن أن نتغلب على مشكلة ضعف الكفاية المادية التي تقف حائلا دون فاعلية الخطاب الدعوي وقوة انتشاره ، والله من وراء القصد

(١) كيفية إعداد الداعية ، د/ أحمد غلوش ، ص : ٩٢ ، ٩٣ .

الخاتمة

الحمد لله تقدست أسماؤه ، وعز جاهه ، وكثر عطاؤه ، وعم نواله ، فهو المحمود على كل حال ، وبعد : فقد وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث الذى قمت فيه بتناول أبرز الأسباب التي أدت إلى ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المعاصر ، سواء منها ما تعلق بالداعية واتصل به في منهجه أو سلوكه أم تعلق بالبيئة الدعوية والظروف المحيطة بها ، وقد وقفت في هذا البحث على عدد من النتائج منها :

أولا : أن الخطاب الدعوي هو البيان الذي من خلاله تصل دعوة الله إلى الناس ، وهذا البيان ذو مدلول واسع وشامل ، فيشمل كل طرح من شأنه أن يعرف المدعوين جميعا بالإسلام أو يرقيهم في مراتب الإيمان – سواء كان هذا الطرح قولا أم فعلا أم حالا – كل ذلك داخل في مدلول الخطاب الدعوي .

ثانيا : أن الخطاب الدعوي المعاصر يعاني حالة من الضعف والركود ، وقلة التأثير في المدعوين ، الأمر الذي يتطلب معه البحث عن الأسباب التي أدت إلى تلك الحالة وكيفية التغلب عليها ، حتى يعود للخطاب الدعوي تأثيره وفاعليته.

ثالثا : أن أسباب ضعف الخطاب الدعوي المعاصر منها ما يتعلق بالدعاة سواء في إعدادهم أو منهجهم في الدعوة أو سلوكهم ، وقد ترتب على ذلك مشكلات أثرت في فاعلية خطابهم، ووقفت سدا وحاجزا دون استجابة المدعوين وتأثرهم ، ولهذا كان من الضروري أن نقف على تلك الأسباب وأن نتعرف

عليها حتى نستطيع مواجهتها وتذليلها في سبيل الوصول إلى غايتنا من الخطاب الدعوي.

رابعا : أن الظروف المحيطة بالدعوة حافلة هي الأخرى بالأسباب التي أدت إلى ضعف خطاب الدعوة ومنها قلة الدعم المادي ، وضعف وسائل الإعلام الإسلامي ،إضافة لما تتعرض له الأمة من غزو فكري ، وهو الأمر الذي يقتضي الوقوف مع تلك الأسباب تحليلاً وتشخيصاً ومعالجة من أجل التغلب عليها توصلا إلى خطاب دعوي فاعل ومؤثر.

وبعـــد

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأشكره سبحانه على توفيقه وإحسانه، وأسأله المزيد من فضله وجوده وإكرامه ، وأُصلي وأُسلم على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين ، والحمد لله في بدء وفي ختم .

فهرس المصادر

١ - أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، د/ فريد الأنصاري ، نشر منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م

٢ - بصائر دعوية ، د/ محمد أبو الفتح البيانونى ، دار السلام ، ط١/ ٢٠٠٢م

٣ - تأملات في فقه الدعوة، د / طلعت عفيفي ، نشر الجمعية الشرعية ، بدون

٤ - التدريب وأهميته في العمل الإسلامي ، د/ محمد موسى الشريف ، نشر دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م

٥ - تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

٦ - التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤف المناوي تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٧ - خطبة الجمعة ، د/ بكر زكي عوض ،

٨ - الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، د/ أحمد غلوش ، نشر دار الكتاب اللبناني .

٩ - الزهد للإمام أحمد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠ - سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، نشر دار الرسالة

١١ - ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة - المجادلة - الحكم على الآخرين ، د/ حسين مجد خطاب ، نشر مطبعة الفجر الجديد ، طنطا ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

١٢ - علو الهمة، د/ محمد اسماعيل ، دار الإيمان ، ط ٢٠٠٤م

١٣ – الغزو الفكري التحدي والمواجهة ، د/ اسماعيل علي محمد ، نشر دار الكلمة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣م .

١٤ – الغزو الفكري في التصور الإسلامي ، د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، بحث منشور بجلة مجمع الفقه الإسلامي ،العدد ٧.

١٥ – الفائق في غريب الحديث ، للإمام الزمخشري ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

١٦ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

١٧ – فقه الدعوة إلى الله ، الميداني ، نشر دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٦م

١٨ – فقه الدعوة إلى الله تعالى ،د/ ابراهيم نورين ، ط الرشد / ١٤٢٨هـ

١٩ – فقه الدعوة إلى الله، د/ على عبد الحليم محمود ، نشر دار الوفاء ،١٩٩م

٢٠ – فقه الدعوة والإعلام ، د/ عمارة نجيب ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م

٢١ – فكر الهزيمة ، خطره وسبل مواجهته ، د / محمد بخيت ، بحث مقدم إلى مؤتمر " الإسلام والتحديات المعاصرة " المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة في إبريل ٢٠٠٧ م.

٢٢ – الفوائد ، لابن القيم ، ط دار الكتاب العربي ،بيروت، ١٤٠٨هـ

٢٣ – كيفية إعداد الداعية ، د / أحمد غلوش ، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ربيع الأول ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .

٢٤ – لسان العرب ، لابن منظور ، نشر دار صادر بيروت .

٢٥ – مختصر منهاج القاصدين، للإمام المقدسي ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ،

٢٦ – مدرسة الدعاة ، د/ عبد الله ناصح علوان ، نشر دار السلام ، القاهرة .ط ٤ ، ٢٠٠٧م.

٢٧ – مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، مكتبة لينة .

٢٨ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ، نشر مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

٢٩ – مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ، ووسائل علاجها ، د/ محمد أمين حسن ، بحث منشور في مجلة (دراسات علوم الشريعة والقانون) ، تصدرها عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، مجلد ٣٥ ، العدد ١ ، ٢٠٠٨م

٣٠ – مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها ،الدكتور محمد حسين الذهبي ، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ربيع الأول ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .

٣١ – المضمون ، دراسة في علم الخطابة ، د/ محمد محمد أبو زيد ، نشر مكتبة الأزهر الحديثة ، طنطا ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٣٢ – مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، الشيخ محمد الغزالي ، نشر نهضة مصر .

٣٣ - معالم الخطاب الدعوي عند النبي صلى الله عليه وسلم ، د/ طالب أبو شعر ، بحث منشور ضمن بحوث مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ، ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ، ١٦-١٧ أبريل ٢٠٠٥م، الجامعة الإسلامية ، غزة .

٣٤ - معالم في أصول الدعوة ،د/ محمد يسرى ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م

٣٥ - معالم في منهج الدعوة ، د / صالح بن حميد ، نشر دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٣٦ - المعجم الوسيط ، نشر مجمع اللغة العربية ، القاهرة

٣٧ - المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، نشر دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٣٨ - مقومات الداعية الناجح ، د / عمر بادحدح ، نشر دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ١٤١٧هـ

٣٩ - منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان العرعور ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

٤٠ - منهج الدعوة ، د/ حسين مجد خطاب ، نشر مطبعة الرضوان ، طنطا ، الطبعة الرابعة عشر ٢٠١٢م .

٤١ - نحو التربية والتعليم ، د / عبد الكريم بكار ، نشر دار المسلم الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ،

المجلات ومواقع الشبكة الدولية للمعلومات :

٤٢ – الإعلام الإسلامي في خط المواجهة ، خباب الحمد ، موقع المسلم على الرابط/ http://www.almoslim.net/node/١٢١٧١٥/

٤٣ – التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله تعالى ، خالد الصقير ، بحث منشور على شبكة المعلومات على موقع صيد الفوائد، على الرابط : http/www.saaid.net/aldwah / ٣٢.

٤٤ – النقد الذاتي للواقع الدعوى ، لسليمان بن عبد العزيز الربعي ، مقال بمجلة البيان ، عدد ١١٦ ، ص : ٢٤ بتصرف

٤٥ – تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال ، د/ عطية عدلان ، مقال بمجلة البيان ، عدد ٣١٤ ،

٤٦ – من فقه إدارة الدعوة ، التدريب العملي ، د/ محمد يسري ، مقال على شبكة المعلومات الدولية على الرابط http://dar-alyousr.com/?p=٢٦٥

فهـرس الموضـــوعات

فهـرس الموضـــوعات	الصفحة
المقدمة	
التمهيد	
المبحث الأول: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المتعلقة بالداعية وسبل التغلب عليها،	
المطلب الأول : عدم كفاية التدريب العملي للدعاة وسبل التغلب على ذلك.	
المطلب الثاني : قصور الفقه الدعوى لدى بعض الدعاة وسبل التغلب على ذلك .	
المطلب الثالث : ضعف روح التضامن والمشاركة بين الدعاة وسبل التغلب على ذلك .	
المطلب الرابع : الخلل في الجوانب السلوكية لدى بعض للدعاة وسبل التغلب ذلك .	
المبحث الثاني : أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي المتعلق بواقع الدعوة وسبل التغلب عليها	
المطلب الأول : الوسائل المضادة للعمل الدعوي وسبل التغلب على ذلك .	

فهـرس الموضـوعات	الصفحة
المطلب الثاني: الغزو الثقافي وأثره على الخطاب الدعوي وسبل التغلب على ذلك .	
المطلب الثالث : ضعف الكفاية المادية وسبل التغلب على ذلك .	
الخاتمة	
فهرس المصادر	
فهرس الموضوعات	